روايات مصرية للجيب

الطارق 4

الدم الأزرق

د. سيد زهران

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة إلى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب إلى نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم إلى الجروب

انضم إلى القناة

سلسلة الطارق
٠٤

الدم الأزرق
(جزء أول)

د. سيد زهران

تنويه..

هذه السلسلة من وحي خيال المؤلف تمامًا، وأي تشابه في الأحداث أو الأسماء بينها وبين الواقع هو من سبيل الصدفة..

قدَّمها الدكتور: أحمد خالد توفيق.. قائلًا نصًّا:

« سلسلة (الطارق).. أعتقد أنها جيدة وصالحة للنشر، الأسلوب قوي وفيه احترافية.. والمكان غريب وجذاب.. ».

المؤلف

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الطارق

(طارق عبد الملك) طبيب حالات حرجة مُتحمس، من تلك النوعية التي عندما تتواجد في مكان تُشعله!

يتهامسون سرًّا عن نَحسه، لكن الرجل كان ينظر للأمور من زاوية مُختلفة تمامًا، تتلخص في أن المتاعب لا تأتي إلا لِمن يستحقها.

أطلق عليه أصدقاوه مُبكرًا اسم (الطارق)؛ لأنه كان مُندفعًا بِطبعه، يحب المُغامرة.. والبحث عن نفسه باستمرار في كل شىء حوله.

(طارق) شخصية هستيرية.. مُصابة بقدر مُحتَمل من الوسواس القهرى.

وصَفه (فرويد) ببعض الصفات المُقلقة منها:

« ارتباطه الشديد بالأشياء، الاندفاع، المبالغة في التَعقُّل، التذبذب الانفعالى، الاهتمام بالتفاصيل، عدم الاقتناع الكافي بدوره في الحياة.. أخيرًا التزامه الشديد الدقة وعدم التعايش مع الفوضي ».

بعدما قرأ (طارق) ذلك التحليل عن نفسه، ابتسم في سخرية.. وقَرَّر أن يعيش حياته كما هى، دون فهم.. دون معاناة، تلك العشوائية تُناسبه أكثر، حتى ولو انتهت يومًا بالجنون.

هكذا ظَلت حياته صاخبة، تَمتلئ بالتفاصيل.. والكثير من المَرضي والشخصيات التي يقابلها كل يوم، خاصة بغرفة طوارئ مركز (أجزون) (Axon) الذي صَار يملكه.

فهناك كان البعض يتكلم.. البعض يَهذى.. البعض يبقي صامتًا إلى الأبد..

لكن ظَلت هناك نوعية تبقى.. تجُرك لعالمها.

نوعية تحمل بصمة نفسية مميزة! تَعْلق في ذهنك، وتظل تُفكر فيها؛ لأسباب غير معلومة!

قبل النوم عَادة ما كان يمسك (طارق) يومياته المُهترئة، التي نستطيع إدراجها تحت قائمة الأدب النفسي الساخر..

والتي تحمل عنوانًا كبيرًا بخط يدوي أحمر.. (أوغاد في حياتى)!

هناك يبدأ التفريغ.. ويختلط خياله بالواقع لدرجة أنك قد لا تعرف أين الحقيقة، إنها وسيلة هروب (طارق) لجعل حياته أكثر احتمالًا..

والخَلاص مِنْ كل تلك الوجوه التي تُطارده ليلًا.

ومع كل شخصية استثنائية يُقَابلها، هناك رواية مُسلية تنتظر، سَنقرأها معًا على ذلك الضوء الخافت.. والأمطار التي لا تريد التوقف بالخارج.

المؤلف

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المُقـدمة

الحرارة تخطت الـ (40) ونصف بشرطة، إنه الوقت المناسب تمامًا للهذيان.. وموت خلايا المخ، خاصة عندما لا تَنزل بتلك المسكنات المألوفة، المشكلة أن (طارق) لا يمرض بسهولة، يبدو أن الموضوع جد خطير هذه المرة..

اقترب منه صديقه (ماجد) إخصائي العظام.. وشريكه بمركز (أجزون) يردد بسخرية:

- « لا بد من وضعه في غرفة عزل.. وإلا ضرب المركز كله.. »

لكزه (ممدوح) إخصائي الجراحة يعنِّفه.. هامسًا:

- « ممكن تصمت.. إنه مريض فعلًا.. »

قاوم (ماجد) ضحكاته.. يهمس هو الآخر:

- « ظل يردد أنا لا أمرض بسهولة.. حتى جلب لنفسه المرض.. »

تنهد (ممدوح).. يضيف بقلق:

- « المشكلة أن حرارته لا تستجيب لأي مسكن سوي لساعات محدودة.. »

تدخل (طارق).. يقول بصعوبة:

- « أنا أسمعكم على فكرة.. »

عاد (ماجد) يضحك.. وهو يتأمل تلك البقع الحمراء على رقبته وتحت عينيه:

- « تبدو مثل طفل أصابته الحصبة.. »

انتظر (طارق) حتى فرغ من السخرية من منظره.. ثم أضاف:

- « حتى لو ماتت نصف خلايا مخى.. سأظل أذكي منك.. »

تلك المرة ابتسم (ممدوح).. قائلًا:

- « في تلك النقطة أتفق معك.. »

عاد (ماجد):

- « من الواضح أنك بدأت تُخرف.. »

(ممدوح) بجدية:

- « ماذا نفعـل؟ إنه اليـــوم الثالـــث لك دون اســـتجابة.. يبدو أنه (H1N1) ..[1] »

(طارق) ببهجة زائفة:

- « لو كُنت تُلمِّح لنقلي إلى غرف عزل وزارة الصحة.. فأنا أفضل الموت هنا.. »

تنهد (ممدوح).. قائلًا بحسم:

- « لو استمرت حرارتك لأكثر من يوم آخر دون استجابة، سأضطر لفعل هذا، أما الآن فليس أمامي سوي استخدام عقار ال (Aspegic) [2] أسبيجك.. »

(طارق) بسخرية:

- « لقد كفوا عن استخدامه منذ زمن! »

- « إنه الوحيد الذي لم نجربه معك.. »

(طارق) باستسلام:

- «حسنًا.. لكن ضع معه أي مضاد حساسية [3].. أريد النوم.. »

قام (ممدوح) بوضع قناع واقي على أنفه.. وشرع في تنفيذ الدواء..

- « بالشفاء.. »

(طارق) بمقاومة حديدية:

- « اطمئن.. تلك الفيروسات اللعينة لا تأخذ معي أكثر من خمسة أيام.. »

- « أتمني ذلك.. »

تدخل (ماجد) يقول:

- « ها أنت تعود لنغمة الحديث إياها.. حاول أن تقتنع أنك من البشر، تمرض عادى.. وليس كائنًا فضائيًّا.. »

نظر له (طارق) بغيظ.. و(ممدوح) ينتهي من إعطاء الدواء..

- « من فضلك.. أريد اليوميات من الدرج.. »

نفذ (ممدوح) رغبته وأعطاه اليوميات.. قبل أن يستطرد بحدة كوميدية:

- « طلب أخير.. »

- « تفضل..»

أشار لـ (ماجد)..

- « لا أريد رؤية ذلك الكائن هنا.. حتى يتم شفائى.. »

ضحك الأخير.. يردد:

- « هل لديك أمل في الخروج من تلك الغرفة قريبًا؟ »

(طارق):

- « نعم.. وسينام فيها أحد آخر.. »

واستجمع بقايا طاقته.. وقذفه بوسادة كانت بجواره.. بعدها خلت الغرفة.

بدأت حرارة (طارق) تعود بسرعة لمعدلاتها الطبيعية.. وهدأت أنفاسه قليلًا..

ثم وجد نفسه كالعادة يبتسم.. ويفتح اليوميات..

فتلك لم تكن المرة الأولي له، التي يتعرض فيها لذلك النوع من ارتفاع الحرارة الشديد..

إن ما هو فيه الآن يُعتبر نزهة.. لو تمت مقارنته بما أصابه يومًا في الولايات المتحدة الأمريكية..

كانت زيارة لعينة.. لابن خاله الوحيد (عمر لاشين).. انحرفت عن مسارها!

مازال يذكر الأمر جيدًا.. والذي بدأ عندما استجاب لرغبة أمه [4].. وقرر التواصل مع ابن خاله.

لم يكن يعرف حينها له عنوانًا، سوي ذلك الإيميل، الذي أرفقه في خطابه لأمه.

قام (طارق) بإرسال العديد من الرسائل.. حتى أصابه الملل.. يبدو أنه كائن غير اجتماعى.. أو أنه لا يفتح بريده الإلكتروني اللعين.

قرر عدم المحاولة.. لكن فجأة أتاه الرد في صورة أصابت (طارق) بالغيظ الشديد.. لقد أرسل له الوغد إيميلًا يحتوي على كلمة واحدة..

- « مرحبًا.. »

عشرة إيميلات.. تكون إجابتها كلمة..

جلس (طارق) في ذلك اليوم أمام الكمبيوتر بلسان حال يقول:

- « من هذا الرجل؟ »

وأرسل ثلاثة إيميلات.. قبل أن يجيبه مرة أخرى..

- « حسنًا.. إنني أحرز تقدُّمًا.. »

ظلت العلاقة بينهما تسير بهذا الإيقاع الرتيب البطىء لسبعة أشهر على الأقل، حتى عرض عليه (عمر) يومًا القدوم لزيارته..

حينها لم يصدق (طارق) أن التي في يده تلك تأشيرة دخول لـ (أمريكا) مدتها شهر، وتذكرة سياحية ليلة رأس السنة..

وهكذا بدأت أحداث تلك الليلة الطويلة.. والتي لم يكن لها عنوان سوى..

الدم الأزرق..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1 - أرض الأحلام..

الولايات المتحدة الأمريكية.

أرض الأحلام والتقدم والحضارة..

أيضًا المسوخ والأفكار الشاذة والعلماء المخابيل!

المكان الذي يعج بكل ما هو براق وخبيث في ذات الوقت!

قوة العالم الجديد.. وابنة المائة عام الأخيرة.

نحبها كـ (زويل).. و(الباز).. و(توم هانكس)..

ونكرهها كـ (بوش).. و(رامسفيلد).. و(كونداليزا رايز)..

الكيان الليبرإلى الذي يتشدق طيلة الوقت بالحريات والديمقراطية.. وهو يخفي وراءه تلك الملامح العنصرية التي هدفها السيطرة.

مُدعية التواضع وصداقة الجميع.. والتي عند أول لحظة تعارض مع مصالحها، يطل فجأة الوجه الرأسمإلى القبيح..

هناك.. في الأروقة الخلفية لتلك الحضارة - حيث الخبال الحقيقي - سنري جانبًا صغيرًا من الصورة.. بصحبة شخصية كئيبة مظلمة، لم تختر يومًا مصيرها..

ثمة سؤال أخير يؤرقني دائمًا.. وأود طرحه قبل ختام تلك المقدمة السياسية الثقيلة:

- « لماذا لم نشهد يومًا نزول أطباق طائرة.. مصاصين دماء.. مخلوقات فضائية.. إلى آخر تلك القائمة إياها التي يحفظها كل مراهق جيدًا.. سوي هناك؟ »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هاجر (عبد ربه لاشين) إلى الولايات المتحدة عقب نكسة (67) مباشرة، لم يستطع تحمل الهزيمة شأنه شأن الكثيرين حينئذ..

وقتها كانت (مصر) تمتلئ بالطموح والتشدق بالنهضة.. والسعي نحو لم شمل العرب وسيادة المنطقة..

والحقيقة أن (عبد الناصر) كفرد - رغم الاستبداد - كان قاب قوسين من هذا، بعدما نجح وقتيًّا في إحياء قوميتنا العربية..

مشروع مفاعل نووي في (أنشاص).. الصاروخ (شهاب).. مصانع حديد وصلب وسلاح.. صناعات بكل أشكالها في كل موقع..

لكن فيما يبدو أن (إسرائيل) و (الولايات المتحدة) لم يتحملا فكرة أن تكون (مصر) قوة ناهضة في المنطقة.

كيف يتركون ذلك يحدث؟ بالتأكيد سيربك هذا حساباتهم..

لهذا كان ما حدث..

قاموا بجرنا كالنعاج لتلك الحرب الساذجة، ساعدهم المناخ الداخلي الفاسد لبعض عناصر سلطة (عبد الناصر) واستبدادها، خاصة قيادة وزارة الدفاع والمخابرات العامة.

فمات حلم النهضة.. وبدأ استنزاف كل مواردنا حتى عدنا إلى الخلف عشرات السنين.

لم يتحمل المهندس (عبد ربه) ابن القرية المصرية كل هذا؛ فهاجر إلى (أمريكا)، حاملًا بين ضلوعه الإحباط ومرارة الهزيمة.

وقتها لم يكن المجتمع الأمريكي قد نسي بعد اغتيال (كينيدى).. ووفاة (مارلين مونرو) الغامضة..

أما الشباب فقد كان غارقًا في حركة (الهيبز) البوهيمية.. والتي لا أملك وصفًا مهذبًا ودقيقًا لأهدافها سوي التبول الفكرى.. رغم هذا كانت تجتاح العالم آنذاك!

يبدو أن الجميع في ذلك الوقت، كان يهفـو للعيش فترة في دورات المياه!

حاول (عبد ربه) النسيان.. والانخراط في أهدافه الجديدة.. وَلِيدة المرحلة..

معادلة شهادة الهندسة، البحث عن مكان آخر مناسب للإقامة غير صفيحة الزبالة التي خصصها له مكتب الهجرة، أخيرًا إيجاد مصدر إضافي للرزق؛ لأن المال شارف على الانتهاء..

لم يكن الأمر نزهة، خاصة مع تلك الأصول العربية المتخلفة المُنحدر منها - على حد قولهم - لكن مع الصبر الذي يميز المصريين دون غيرهم من الأجناس، تحمل (عبد ربه).. حتى مر عام حصل خلاله على المعادلة.

بعدها تصور أن مصيره سيتغير، لكن هذا للأسف لم يحدث.. فالموهبة في مجتمع قاسٍ كهذا، بدت غير كافية على الإطلاق.. لا بد من مركز قوي بالظل تنهض من خلاله.. تلك هي القواعد.

اكتفي بتلك الوظائف الصغيرة التي كان يجدها ليظل حيًّا.. حتى مر عام آخر، لكن ظلت أموره تذهب نحو الأسوأ..

قَل الحماس.. تضاعف الإحباط.. وبدأ يفكر في العودة..

هنا.. كان لا بد من ظهور شىء درامي في حياته ليعدل عن الفكرة..

قابل (إيزابيلا)..

فتاة هستيرية طائشة، من تلك النوعية المُنفلتة صعبة القيادة.. نموذج للمرأة الساحرة التي لا يوجد في رأسها سوي الرغبات.. إنه النوع الذي يُجبر الرجل طيلة الوقت على أن يلهث وراءه؛ ليجد نفسه في النهاية قد تحول لخرقة بالية تُمسح بها الأحذية!

لم يعرف (عبد ربه) ما الذي جذبه إليها بالضبط.. علَّ الأمر يتعلق باضطراباته النفسية وقتها.. أو احتياجه الشديد لوجود شخص ما في حياته، يشعر معه أنه ما زال حيًّا.

النهاية.. غيرت (إيزابيلا) حياته، بثت فيها روح التغير والحماس، بدأ يرث علاقاتها ببعض الشخصيات الهامة، الكثير من الأبواب المغلقة فتحت.. فاندفع يعوض كل ما فات..

لدرجة أنه لم يكد تمر ستة أشهر، حتى بدأ يجني ثروة صغيرة..

حينئذ كان من الطبيعي أن يعرض على (إيزابيلا) الزواج، بعدما شعر أنها صارت كل ما لديه..

وافقت دون تردد.. لكن كأنها ذاهبة إلى رحلة أو طعام جديد يدخل قائمتها!

في تلك الأثناء كسبت (مصر) الحرب.. وجاء (السادات) - الفلاح الخبيث - إلى البيت الأبيض؛ لينجح في إعادة الأرض مقابل بعض الأوراق التي أعطاها لليهود!

شعر (عبد ربه) أنه استرد كرامته. ارتفعت معنوياته.. وانكب أكثر على العمل حتى تضاعفت ثروته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حتى الآن تبدو القصة رحلة صعود مُسلية، لكن في أحد الأيام استيقظ (عبد ربه) من النوم ليجد (إيزابيلا) قد هجرته، يبدو أنها ملت أخيرًا من الطعام الشرقي!

« الأشياء التي تبدأ سريعًا تنتهي بنفس السرعة.. »

كانت تلك أول عبارة بدرت إلى ذهن (عبد ربه)، عندما بدأ محاسبة نفسه، إنه رجل شرقى.. وغير مُعتاد على تلك السلوكيات.. أضف أنه كان غارقًا في حب (إيزابيلا) تمامًا، كل تلك العوامل أصابته بالارتباك وعدم الاتزان.

سعي للهدوء.. والعزلة قليلًا، أخذ إجازة مفتوحة قضاها في جَلد الذات.. وتلذذ الشعور بالاستشهاد!

كم كان نمطيًّا.. وهي تحب الاختلاف!

كم كان رد فعل.. وهي الفعل!

حتى مر الوقت.. وصارت هناك فواتير لا بد أن تُدفع، بدا ذلك حينها أكثر إقناعًا، من هذا الكلام الفارغ الذي يفعله كل يوم على شاطئ خليج المكسيك..

عاد للعمل، لكن منذ اللحظة الأولي أدرك أنه لم يعد إلى سابق عهده، هناك شىء ما تغير في تضاريسه النفسية..

لم يعد يستطيع الاستيقاظ في الصباح يبتسم، ثم يذهب بعدها للعمل متظاهرًا أن شيئًا لم يحدث.. صار ذلك صعبًا!

مرت أيامه بطيئة.. كئيبة.. حتى فجأة عادت (إيزابيلا)، عادت كالعاصفة؛ لتجد شخصًا آخر غير الذي تركته في انتظارها..

بقايا (عبد ربه) لو صح التعبير، لكن فيما يبدو أن هذا لم يكن يعني لها الكثير.. فهي على أية حال لم تعد من أجله.

كان سبب العودة هو طفل عمره تسعة أشهر، يبدو أنها لم تتحمله أكثر من هذا.. فقررت أن تعيده إلى حيث ينتمى..

التقطه (عبد ربه) بين ذراعيه غير مُصدق أن ذلك الرضيع ابنه.. وقبل أن يحسم القضية بداخله، اختفت (إيزابيلا) من جديد.. لكن إلى الأبد هذه المرة.

شَب الصغير(عمر) وسط مناخ ملىء بالشكوك في بنوته، لكن مع الوقت ودون أي دلائل مادية، تأكد (عبد ربه) أنه ابنه.

شىء ما في عيني الصغير (عمر) جعله يصل لتلك النتيجة سريعًا!

بعدها تبدل تمامًا.. وعاد للحياة، لكن بقواعد جديدة هذه المرة.. صار مترفعًا على الجميع.. قليل الظهور.. ولم يعد أحد يستطيع أن يدخل عالمه بسهولة..

العجيب.. أنه حين فعل ذلك، سَعت الناس نحوه بقوة.. هنا فَهم (عبد ربه) قانون معاملة البشر.. وتحول - مع الوقت - لذلك الرجل الحديدى.. الصارم..

الذي لا انتماء عنده إلا للمصلحة فقط..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منذ صغر (عمر) أبدي تفوقًا عقليًّا ملحوظًا.. صار ذلك الطالب الذي يكرهه كل زملاؤه.. لا لشىء سوي أنه موهوب.. وعربي مسلم..

جعل هذا (عبد ربه) يُوليه اهتمامًا خاصًّا.. فحشد كل العوامل التي تجعله يختصر الطريق..

كان الصغير كلما شعر أن ما يفعله يسعد أبيه، ينكب عليه أكثر.. حتى أصبح لا يفعل شيئًا في حياته سوي حشر المعلومات في رأسه!

سُرِقت السنين منهما.. وكَبر (عمر).. والتحق بجامعة (يل).

هناك استهوته دارسة علم (الظواهر)، خاصة خوارق ما وراء النفس البشرية (الباراسيكولوجى) (Parapsychology). [5]

والحقيقة أن التخصص هو الذي اختار (عمر) وليس العكس.. لأن الشخصيات الغريبة كل ما يدور في فلكها لا بد أن يحمل نفس الغرابة..

و(عمر) كان المادة الخام للحيرة والعزلة والتأمل.. من تلك النوعية التي قد تقضي عمرها بأكمله تبحث عن شىء لا تعرف له ملامح!

كان خليطًا من هستيرية وطيش الأم.. ورومانسية وعقلانية الأب!

ومنذ لحظات إدراكه الأولي للحياة، تعلم أنه لا ثوابت في هذا الكون، كل شىء ممكن وجائز!

فليس مستبعدًا مثلًا في (نيويورك) أن تجلس مع الشيطان الساعة الخامسة مساء تحتسي القهوة.. لتصيروا فيما بعد أصدقاء!

سيسأل أحدكم في خبث.. لماذا الخامسة كتوقيت؟ ولماذا (نيويورك) كمدينة دون غيرها من مدن العالم؟

حقًّا لا أعرف إجابة حاسمة.. فقط سمعت إشاعة ما تقول: أن الشيطان يُقيم بأعلى قمة في (نيويورك).. وأن الخامسة مساءً هو وقته المفضل.. عندها يحب أن يُباشر أعماله الخيرية مع زبانية الجحيم!

تخرج (عمر) بعد خمس سنوات، ولولا تفوقه المُحرج للجامعة، لمَا تم ترشيحه للعمل في ذلك المركز بسبب أصوله العربية..

ما شفع له حينها قليلًا، أنه لم يغادر (أمريكا) منذ ولادته.. أو حتى يزور بلده الأم (مصر)..

أصابه الحماس.. وبدأ يفكر.. إلى أية جهة سينتمى؟

تسربت بعض التخمينات.. (وكالة الأمن القومى).. (سي آي إيه).. (ناسا).. حتى استقر به الحال في مبني جديد أطلقوا عليه مركز (الظواهر)..

هناك غرق في الروتين.. والأعمال المكتبية.. والتقارير حتى أصابه الملل.

في تلك الأثناء غادر (عبد ربه) الحياة؛ ليصير (عمر) وحيدًا.. وسط مجتمع لا يعرف سوي القوة.

لم يترك الأب لابنه الكثير.. سوي بعض المال.. وشقة واسعة تطل مباشرة على خليج المكسيك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2 - المهمة..

منتصف ليل مدينة (تامبا) [6] الساحلية.

بداية آخر يوم من أيام شهر (ديسمبر)..

بدت الشوارع خالية تمامًا في هذا الوقت.. و(عمر لاشين) يأخذ طريق الشاطئ المُطل على خليج المكسيك.

ورغم إحكام زجاج السيارة، إلا أن الصقيع تسرب لأنامله، حتى مر الوقت.. ووصل للمنزل، أوقف سيارته في المرآب الخاص.. وهبط يحمل أغراضه من طعام وأوراق.

لفحته رياح الخليج الباردة المُبشرة بقدوم عاصفة.. وأضفي صوت الأمواج القريب جوًّا من الغموض على المكان.. كأن هناك وحشًا يقترب بتؤدة سيلتهم الجميع.

دلف إلى المبني المكون من خمسة طوابق.. وحشر نفسه في مصعد قديم، حتى المحطة الثالثة.

كان يكره تلك اللحظة.. فبعد قليل سيُولج المفتاح في باب الشقة.. وتبدأ الوحدة، لهذا كان.. يتأخر دائمًا في العمل.

كل شقق الدور الذي يسكن به، بل وربما المبني كله مهجورة.. ولا يعمرها أحد إلا أثناء الصيف.

الباب شبه المتآكل من الرطوبة.. الردهة الواسعة لأكثر من مائة متر.. النوافذ المتعددة المغلقة المُطلة على مياه الخليج.. السقف العالى والإضاءة الخافتة.. تحف وتماثيل وكتب وصور غريبة تملأ المكان.

باختصار كانت الشقة تصلح لأن تكون متحفًا، أو يقطنها شخص نفسيته ليست على ما يرام.

بين كل تلك التفاصيل، استرخي (فرعون) القط العجوز نُوبي المنشأ، وسط مملكته المظلمة، قبل أن يفتح عينيه الناعسة الخبيثة نصف فتحة؛ ليطمئن على أن القادم هو البائس الذي يشاركه السكن.. وليس أحد آخر.

عاد (فرعون) لاسترخائه، في حين وضع (عمر) أغراضه.. قبل أن يصنع مشروبًا ساخنًا.. ويقصد مكتبه.

وضع العوينات لتصبح الحياة أفضل..

ثم شرع يفتح رسائله الإلكترونية.. كان مرهقًا بشدة.. لكنه كان يعرف أنه لن ينام، جلس أمام الكمبيوتر يتصفح ما أتاه آخر ست ساعات.

الرسالة الأولي كانت من أحد زملائه، الذين ذهبوا إلى الصحراء الغربية تقول:

- « أغثنى.. إنهم قادمون.. »

ضاقت عيناه يتمتم ببساطة.. وهو يحذف الرسالة:

- « وسط أي ظروف، أعتقد أنه قد فات الوقت على محاولة إنقاذك! »

رسالة أخري من (ألاسكا):

- «هناك نبضات عاقلة تنبعث من مجرة (كانيس) [7] المجاورة.. »

رسالة ثالثة:

- « قد يكون ذلك الزغب الذي يظهر أمامي الآن في التليسكوب، غبارًا كونيًّا قاتلًا سيصل إلى الأرض قريبًا.. »

أخري شديدة اللهجة:

- « كل أفراد البعثة اختفت هنا في المنطقة (31)، صرت وحيدًا، افعل أي شىء.. أبلغ الصحافة.. الرؤساء.. أعتقد أنهم يعرفون.. »

تنهد (عمر) بملل من رسائل زملاء دفعته.. قبل أن يفتح تلك الرسالة الأخيرة من ابن عمته (طارق):

- « أصل غدًا على طائرة الثالثة والنصف مساءً.. »

خلع (عمر) عنه العوينات شاردًا.. وهو يتذكر الأمر، لام نفسه بشده على نسيانه للدعوة..

ماذا سيفعل الآن؟

أطفأ الكمبيوتر بإرهاق.. وذهب إلى غرفة نومه بلسان حال يردد:

- « عندما يأتي الغد.. نُفكر فيه.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نام (عمر).. ولم يشعر بتلك الأمطار والبرق.. الذي تشتهر به منطقة خليج (تامبا) دون غيرها.

كانت الكوابيس هي إيقاع حياته المفضل!

- « ليس هناك أسوأ من أن تكون مثل الجميع.. ولا تكون ما تريد.. »

ترددت تلك العبارة في عقل (عمر) الباطن على لسان أبيه في الحلم، قبل أن يرن الهاتف المجاور لسريره بإلحاح..

استيقظ (عمر) مفزوعًا.. فهو من النادر أن ينام بعمق.. لدرجة أن أحدًا لو همس باسمه في الغرفة المجاورة سيستيقظ..

نظر إلى ساعة الليزر بجوار الفراش.. كانت تشير إلى الخامسة والنصف صباحًا، انعقد حاجباه في دهشة.. فلا أحد يتصل به - غالبًا - في ذلك الوقت..

بل لا أحد يتصل به أصلًا!

- « ألو.. »

- « بروفيسور (عمر لاشين)؟ »

راق له لقب بروفيسور الذي استخدمه المُتصل.. قبل يقول:

- « نعم.. »

« الذي يعمل في مركز ظواهر (تامبا)؟ »

حصل على اهتمام (عمر).. وهو يجيب للمرة الثانية:

- « هل أنت واثق أنك تبحث عنى؟ »

تجاهل المتصل العبارة قائلًا:

- « هناك شىء يتعين عليك رؤيته.. »

- « ما هذا الشىء؟ »

- « لا.. لا بد أن يحدث هذا على أرض الواقع.. »

ضاقت عينا (عمر).. قائلًا:

- « هل هو خطير لتلك الدرجة؟ »

المُتصل بإثارة غريبة:

- « نعم.. وسيُحدِث اكتشافه ضجة كبيرة.. »

شعر (عمر) بعدم الارتياح للهجة الصوت، هذا المُتصل ليس على ما يرام.. إنه يحمل خللًا نفسيًّا واضحًا..

- « متي تحب أن نتقابل؟ »

الصوت بلهفة:

- « وقتما تريد.. لكن يفضل أن يكون ذلك في أسرع وقت.. »

صمت (عمر) لحظة.. ثم قال:

- « ما رأيك بعد ساعة من الآن.. في ساحة ملاهي (غاردنز)؟ »

- « عظيم.. سأنتظرك.. »

ثم انقطع الاتصال..

كان (عمر) طبعًا لن يذهب، مط شفتيه بلا مبالاة.. ثم وضع السماعة. بعدها حاول العودة للنوم دون جدوى، حتى تسرب ضوء الصباح عبر النافذة.

استسلم.. ونهض يتجول في المنزل الكئيب..

تطلع إلى شرفة جارته الوحيدة العجوز في الدور الثانى، كي يطمئن أنها ما زالت على قيد الحياة.

كان لا يراها بالأسابيع.. تختفي من الصقيع للبقاء أمام المدفأة.. ويخشي (عمر) أن تموت وتتحول إلى مومياء.. دون أن يدري بها أحد.

لقد حاول كثيرًا التودد إليها، لكنه فشل..

يبدو أنه فعلًا كائن غير اجتماعي بطبعه.. قليل الكلام.. يُفسِد العلاقات.. ويحب العزلة.

استيقظ القط الضخم (فرعون) الذي يُشبه شبل الأسد الصغير.. وأخذ يتمسح بقدمه.. نظر له (عمر) يتمتم بصوته البارد الخإلى من الانفعال:

- « أعرف أنك جائع.. »

أعطاه بعض الطعام.. وأخذ يُعد لنفسه بعض الكافين.. وهو يشرع في ارتداء لبسه الرياضى. تناول بعضه سريعًا.. ثم خرج يمارس رياضة الجري بطول الشاطئ الصخري غير المُمَهد. لم تُوقفه الأمطار أو الرعد وصواعق البرق القريبة؛ لأنها كانت بالنسبة له مشهدًا مُكررًا.. مُمِلًّا.

انطلق بجواره (فرعون) يمرح.. فبعد قليل ستنتهي النزهة.. وسيدخل الشقة؛ ليقضي بقية يومه في انتظار سيده ليلًا.

كان ذلك حال (عمر) المنتظم منذ سنوات، حتى عرفه أهإلى المنطقة.. بالمصري غريب الأطوار.. وقطه المخيف.

مرت ساعة الجرى.. وعاد (عمر) يأخذ دشًّا باردًا.. ويستعد للنزول..

استوقفته صورة كبيرة لأبيه، استقرت بين العديد من صور العلماء. تسمر أمامها يتمتم:

- « كنا دائمًا نقضي تلك الليلة معًا.. »

لم تأخذ تلك اللحظة من النوستالجيا (Nostalgia) - الحنين إلى الماضي - منه سوي ثوانٍ.. ثم غادر المبنى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة مساءً: PM 3:00

غادر كل العاملين في مركز ظواهر (تامبا) مبكرًا، للاحتفال بليلة رأس السنة، لم تبقَ سوي تلك الفئة المقهورة أو الخاصة.

إنه الكريسماس.. وستجدون العالم هنا في الولايات ملىء بالثلوج، وبابا نويل، وتلك السخافات التي لا تنتهى..

في أحد مكاتب الدور الثالث والعشرين من المبني بدت الأجواء مملة.. قاتمة، تثاءب (نورمان) رفيق (عمر) بالمكتب يردد باستنكار:

- « لماذا نبقي حتى الآن؟ »

كان الأخير مُنهمكا في قراءة كتاب مهم لعالم الطب النفسي (جوزيف راين) (Extrasensory Perception) أو (إدراك ما خارج الحواس)[8]، لم يرفع وجهه عن ما يقرأ مجيبًا:

- « قواعد العمل.. والتي تُحتم علينا البقاء حتى الرابعة.. »

- « ولماذا لا تسري تلك القواعد سوي علينا؟ »

(عمر) بمزيد من الجمود:

- « إنه حال المستجدين دائمًا في كل مكان..»

كاد (نورمان) ذو الأصول الإيطالية أن يلقي عبارة سخط أخرى، لولا أن دلف إليهم أحد الرجال المتأنقين يقول بلهجة رسمية:

- « مستر (عمر).. المدير يريد مقابلتك.. »

في تلك اللحظة رفع الأخير وجهه عن الكتاب يردد بدهشة لم تخلُ من البرود:

- « يريدني أنا؟ »

الشخص المتأنق بدهشة مقابلة:

- « نعم يا سيدى.. »

تجاوز (عمر) الموقف سريعًا بإيماءة من رأسه، قبل أن ينصرف الرجل.. وينهض (نورمان) يقول بقلق:

- « هل تذكر آخر مرة رأينا فيها ذلك المدير؟ »

(عمر) بتفكير:

- « عند التحاقنا بالعمل.. أي منذ (332) يومًا بالضبط.. »

تدلي فكا (نورمان) في بلاهة من دقة الرقم.. وهو يضيف:

- « ماذا يريد؟ »

« ذلك ما سوف نعرفه بعد قليل.. »

تحول (نورمان) إلى الضيق.. عندما وجد (عمر) يلتقط معطفه..

- « أستذهب؟ »

- « لديك اقتراح آخر؟ »

لاحقه متمتمًا:

- « ماذا لو كلفك بشىء من تلك المهام القذرة التي نقوم بها منذ التحقنا بهذا المكان؟ »

ارتدي (عمر) معطفه القصير يُجيبه:

- « سنؤديه طبعًا.. »

ارتسمت علامات الفزع على وجه (نورمان).. قائلًا:

- « تقصد ستُؤديه.. فأنا ليس لدي استعداد للسهر اليوم.. »

لم يعطه (عمر) أي انطباع أثناء مغادرته الغرفة.. وسار في شبكة من الممرات الضيقة بالدور حتى وصل إلى غرفة المدير الخارجية.. استقبلته تلك الفتاة تردد:

- « تستطيع أن تدخل.. إنه في انتظارك.. »

كانت تلك السكرتيرة الحسناء، فارغة العقل.. وبما أن (عمر) لا يطيق تلك النوعية من النساء، لم يعرها أي اهتمام، فقط أعطاها أسخف ابتسامة لديه.. ثم واصل طريقه إلى المكتب، شعرت السكرتيرة بالغيظ..

- « أحمق.. »

وصلت الكلمة إلى أذن (عمر).. فشعر بالرضا.. وفتح الباب الداخلى؛ ليصبح في مواجهة مديره الإنجليزي الأصل..

- « أمرت باستدعائي يا سيدى.. »

كان المدير يمثل بقايا الحرس القديم.. والذي ما زال يحيا على أنقاض الإمبراطورية البريطانية الزائلة، غاب الرد قليلًا.. قبل أن يقول بروتينية:

- « نعم.. تفضل.. »

جلس (عمر) يتأمل كم الأوراق الهائل فوق المكتب.. إنها تلك العادة الذميمة لدي كل المديرين في كل مكان..

أضاف بشكل رسمى:

- « مستر (عمر لاشين).. لدينا مهمة خارجية لك؟ »

نطق الاسم بلهجة تُذكرك بالاحتلال الإنجليزى، قبل أن تتعلق عيناه بورقة أمامه، يبدو أنها الوحيدة التي راقت له.. وسط ذلك التل من الأوراق!

- « أعرف أن طبيعة عملك تنحصر في الشأن الداخلى، لكن نظرًا لغياب المحترفين الليلة سنضطر للاستعانة بك.. ولو بشكل مؤقت.. هل لديك مانع؟ »

غاظ (عمر) بشدة أن يكون احتياطيًّا لأحد، كما غاظه أيضًا كلمة المحترفين تلك..

- « لا يا سيدى.. »

- « عظيم.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لا نملك وصفًا حقيقيًّا للولايات المتحدة الأمريكية، سوي أنها دولة بدون تاريخ؛ لذا ستجدونهم عندما يتم اكتشاف أي شىء في أراضيها يمت للآثار بصلة..

تقوم الدنيا.. ولا تقعد من كثرة الضجيج.. يريدون أن يكون لهم تاريخ، إنه حتمًا حق مشروع.. لكن صعب المنال.

في صباح ذلك اليوم، تم انتشال تابوت ادعوا أنه أثرى.. ويخص أحد قبائل حضارة (المايا) [9] بجزر الكاريبى..

صحافة.. إعلام.. ضجيج.. إلى آخر تلك الأمور التي تحفظونها جميعًا. في النهاية استقر التابوت بأحد أقبية البلدية.. والتف حوله ثلاثة علماء.

مستر (فويت) عالم آثار..

مستر (مينرو) إنسانيات..

وبروفيسور (تورادو) تكنولوجيا جزيئية..

تجمع رائع لا ينقصـه سوي الدكتور (هنري والتون) المشهور بـ (إنديانا جونز) [10] والمخرج (ستيفن سبيلبرغ) ليصير فيلمًا مثيرًا.

أحاطت بالتابوت - عند لحظة فتحه - إجراءات علمية مشددة.. وكم كان إحباط الجميع عندما لم يجدوا المومياء الأصلية لـ (توت عنخ آمون) بقناعها الذهبي تستقر هناك!

مجرد جثة متحللة لرجل وثني مع بعض أغراضه الفخارية الهشة.. وجدوا أيضًا جلد حيوان يحتوي على رسوم لفظية.. ترجمها مستر (فويت)..

- « لقد حلت اللعنة.. إنني الأخير! »

لحفظ ماء الوجه أخذوا يعبثون في كل هذا قرابة الساعة.. ثم سرعان ما تذكر الجميع أن اليوم هو الكريسماس.. فانصرفوا..

لكن عند اقتراب الثانية مساءً، بدأت بعض الأحداث الغامضة تحدث؟

مستر (فويت) بينما كان يُعد مع أحفاده شجرة عيد الميلاد سقط يعاني الاختناق، وصلت إليه وحدة عناية فائقة في ست دقائق.. حاولت السيطرة، لكنها فشلت في إعادته.. وفارق الحياة..

لحق به مستر (مينرو).. في نفس التوقيت تقريبًا، لكن عبر حادث سيارة.

كان من الممكن عدم الربط بين الحادثين وما قاموا به اليوم، لولا ظهور شىء واحد فقط جمعهم..

صمت المدير لحظة في إثارة ليضيف:

- « لقد تحول لون جلد الاثنين بعد الموت مباشرة إلى اللون الأزرق؟ »

ذلك ما جعل رجال الأمن القومي يُسرعون في محاولة تأمين بقية فريق البحث.. وعلى رأسهم طبعًا البروفيسور (تورادو)..

لكن كعادة تلك المواقف، لا بد من وصول أجهزة الأمن متأخرة بعد الأحداث.. وإلا لما صار هناك قصة نرويها اليوم.

لقد لقي كل من اشترك في عملية البحث حتفه بنفس الطريقة!!

وحان وقت ظهور تلك الوجوه الأمنية الصامتة.. التي تعرف أكثر من الجميع؛ لتبشر أن الأمر جد خطير.. وأن هناك أحداثًا قادمة.

تم إعلان حالة الطوارئ.. وعزل كل مَنْ كان له صله مباشرة بأعضاء فريق البحث.. وفُتح الملف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « والدكتور (تورادو).. هل لقي نفس المصير؟ »

كان هذا سؤال (عمر).. فأجابه المدير:

- « ذلك هو الغريب في القصة؛ لأنه الوحيد الذي بقي حيًّا حتى الآن، لكن حالته حرجة.. ونزيل بغرفة عناية فائقة.. »

(عمر) بشكل مباشر:

- « ما المطلوب يا سيدى؟ »

مط المدير شفتيه.. قائلًا:

- « أشعر أن التفسير المادي لِمَا يحدث غير وارد.. هناك شيء ما يفوق قدراتنا على الفهم يحدث، أريد إيجاد تبرير سريع.. دون - طبعًا - أن يكون لنا علاقة بالشق الجنائى.. نحن رجال علم فقط.. »

أماء (عمر) برأسه يفكر.. قائلًا:

- « مفهوم يا سيدى.. لكن هل سيسمحون لنا بهذا؟ »

المدير بحزم:

- « لقد تم إخطارهم بتواجدنا، لكن حتمًا لن يتعاونوا معك.. »

ثم عاد ينظر لأوراقه، قبل أن يعطيه ابتسامة أرستقراطية مشبعة بالاستعلاء مستطردًا بحسم:

- « الحقوق تُنتزع.. ولا تُمنح يا مستر (عمر).. حظًّا موفقًا.. »

انتهي اللقاء.. وغادره (عمر) دون إضافة كلمة.. ليبدأ مهمته الأولى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المصدر: بعض المواقع الإلكترونية، كتاب (في علم الغيب) للدكتور (هاني حجاج).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

3 - إنهم يعرفون..

الثالثة وثماني عشرة دقيقة مساءً: 3:18 PM

الدور التاسع مركز الظواهر، معمل طب شرعي يحتوي على أحدث تقنيات التخصص.

جلست الدكتورة (صوفيا) خبيرة التكنولوجيا الجزيئية - الإيطالية الأصل - تتأمل عينات دماء مستر (فويت) و(مينرو).. أول ضحايا ذلك الأمر الغامض، بشغف شديد اختلط ببعض الخلل النفسى.

كانت رغم قسوة طبيعة عملها.. تتمتع برقة وجمال فتيات حوض البحر الأبيض المتوسط.. القادرين على تمزيق كيان أي رجل!

حاول (نورمان) مساعد (عمر) التقرب إليها كثيرًا، لكنه فشل.. يبدو أنها تحب عملها أكثر.. أو أنه لم يستطع إقناعها بأنه أفضل رجل في العالم!

كان وجودها في القضية، أهم سبب جعل (نورمان) يبقى.. ويتخلي عن حلم الانصراف.. فجأة تذكر دوره كمساعد لـ (عمر)!

- « يبدو أنها ستكون ليلة طويلة؟ »

كانت تلك عبارته.. وهو يدلف إلى معمل الطب الشرعى.. وينظر لـ (صوفيا) باهتمام..

- « (نورمان).. ماذا تفعل هنا؟ »

اقترب منها أكثر يتمتم:

- « أحاول تلبية نداء قبلى.. »

عدلت نظارتها بشىء من الارتباك.. وهي تتحاشي النظر إليه.. مرددة:

- « لقد انتهينا من تلك القصة.. »

تنهد.. قائلًا بعدم رضا:

- « أعرف.. »

وقبل أن يضيف عبارة أخرى.. ظهر (عمر) خلفه يقول بصوته البارد المعدنى:

- « نحن هنا بصفة رسمية.. »

كانت تلك أول مرة تري فيها (عمر)، قام (نورمان) بتقديم كل منهما للآخر سريعًا، قبل أن يتأمل (عمر) العينات التي أمامها مرددًا:

- « يقولون أنك الأفضل هنا؟ »

حصل على اهتمامها..

- « لا تصدق كل ما تسمع.. »

تجاوز (عمر) الأمر سريعًا، ثم تحرك يتأمل جثة معزولة في ركن الغرفة.. يسألها:

- « هل كونتِ رأيًا مبدأيًّا؟ »

كانت لهجته الاحترافية الجادة، سببًا جعلها تتحرك خلفه قائلة:

- « لا.. الأمر مُحير ويحتاج إلى بحث.. »

ضاقت عينا (عمر).. وهو يتفحص الجثة الزرقاء تمامًا:

- « أنا لم أسألك عن رأيك النهائى.. والذي لم يتكون بعد، أنا أريد فقط معرفة إحساسك الشخصي بالأمر؟ »

مطت شفتيها.. تُجيبه بإحباط:

- « من خلال خبرة السنوات الماضية، لم أشاهد شيئًا كهذا من قبل.. »

تأملها (عمر) للحظة.. ثم همس ببرود كأنه يُحدِّث نفسه:

- « عظيم.. هذا يعود بنا خطوة إلى الخلف! »

- « عفوًا.. ماذا قلت؟ »

انتبه (عمر) إلى هذيانه..

- « لا شىء.. »

وعاد يتأمل الجثة الزرقاء يستطرد:

- « متي تستطيعين إعطاء أول تقرير؟ »

هزت كتفيها.. وعدلت نظارتها..

- « منتصف الليل.. »

- « كثير.. »

- « إنه تقدير مبدئى، قد يتغير حسب معطيات الأمور، لكن أعدك إذا توصلت لشىء قبل ذلك الوقت.. سأخبرك.. »

ارتضي (عمر) العبارة.. وكاد أن يغادر المعمل.. لولا أن ظهر فجأة شخص غريب الهيئة يحمل في يده شريحة ميكروسكوبية.. يتمتم:

- « هناك معلومة تصلح كبداية.. »

انتفض (نورمان).. و(عمر) يتفحصه متسائلًا:

- « ما هى؟ »

اقترب الرجل منه يجيب بإثارة.. وهو يُلوح بالشريحة الميكروسكوبية:

- « هذه الدماء لا تحوي ذرة أكسجين واحدة.. »

« وماذا يعني ذلك؟ »

تصلبت كل العيون عليه تنتظر الإجابة.. قبل أن يقول:

- « لا أعرف.. »

استدار (عمر) ينظر إلى دكتورة (صوفيا).. التي كانت تقاوم الضحك:

- « مَنْ هذا؟ »

« إنه مساعدى.. »

صافحه (عمر) كإنهاء للموقف..

- « مرحبًا.. »

ثم انصرف على الفور..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وعشر دقائق مساءً: PM 3:10

جلس السيناتور العجوز (ويتمان) قليل الحركة، عضو الكونجرس الأمريكي.. والحزب الديمقراطى، أمام المدفأة مبكرًا، يحتسي بعض الشراب، قبل أن يدلف إليه رجل متأنق.. طويل القامة يردد:

- « لقد استقرت حالة الدكتور (تورادو).. »

أماء العجوز برأسه - دون أن يستدير - في مشهد سينمائي رائع.. يردد:

- « مسكين.. لم يكن كل هذا في حساباته.. »

ووضع الكوب من يده.. يستطرد:

- « هل توصل أحد لمعرفة سبب ما يحدث؟ »

هز المتأنق (توم) مبعوث البنتاجون [11] رأسه في نفى.. قائلًا:

- « لا.. لكنهم يعملون على الأمر.. »

نهض العجوز ببطء.. يقول:

- « أريد تحرُّكًا سريعًا لغلق تلك القضية، الجميع لن يرحمنا إذا انكشف الأمر! »

أماء (توم) برأسه.. قبل يسأل بحذر:

- « ماذا بالنسبة للدكتور (تورادو)؟ »

لم يفهم العجوز السؤال:

- « ماذا عنه؟ »

اقترب منه (توم) يقول بحسم:

- « ماذا سنفعل معه لو أفاق؟ »

بدا الغضب فجأة على وجه (ويتمان).. وهو يقول:

- « (توماس) الغبي هو مَنْ ورطنا في كل هذا.. لهفته على المال وتسرعه؛ سندفع ثمنها جميعًا.. »

احترم (توم) انفعاله حتى هدأ قليلًا.. ثم أضاف بإصرار:

- « لم أحصل على إجابة.. ماذا سنفعل مع الدكتور (تورادو) لو عاد للوعى؟ »

تنهد العجوز.. ثم أجاب:

- « ضعه الآن تحت عينيك.. ولننتظر رد فعله.. »

(توم) بحسم:

- « خطأ.. الدكتور (تورادو) كان من أشد المعارضين للمشروع، تري كيف سيكون رد فعله لو أفاق.. وأدرك كل ما حدث؟ »

(ويتمان) بمزيد من الغضب:

- « ماذا تعنى؟ »

قال (توم) ببرود مستفز:

- « أعني ما وصل عقلك.. وجعلك عصبيًّا يا سيدى.. »

التقت أعينهما في تحدٍّ صامت.. قبل أن يقترب العجوز منه.. يتمتم بلهجة مخيفة:

- « أذلك سيكون أسلوبنا الآن؟ »

- « حياتنا مقابل حياته.. »

عقد العجوز يديه خلف ظهره.. ثم قال بحدة:

- « أصبحت تتكلم كرجل عصابات.. وليس رجل جيش مهمته الحماية.. هل نسيت كل ما قدمه الدكتور (تورادو).. الرجل أفني عمره من أجل تلك الأمة.. ليأتي شاب متحمس مثلك يحكم عليه بالإعدام.. »

بدا (توم) كأنه لم يسمع شيئًا.. وهو يقول:

- « لكل حرب ضحاياها.. »

شعر السيناتور بخيبة الأمل.. فسار نحو الشرفة، يتطلع لضوء النهار الذي بدأ يخفت.. ويفكر قليلًا.. قبل أن يقول بهدوء يتعارض تمامًا مع ما كان عليه من انفعال منذ ثوانٍ:

- « حسنًا.. لكن هذا لن يتم قبل أن أجلس معه.. »

(توم) بسخرية:

- « هل تعتقد أن ذلك قد يُحدث فارقًا؟ »

العجوز بغضب وصل للذروة هذه المرة:

- « نعم أيها المغرور.. »

تأمله الأخير بغضب داخلي مقابل للحظة، ثم انصرف وعقله لا يحمل سوي قناعاته الشخصية بالأمر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وثلاثة وثلاثون دقيقة مساءً: 3:33 PM

تعرفون أنه لا يوجد ليلة كريسماس دون تساقط ثلوج، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.. تلك هي القواعد التي لا بد من احترامها.

أخذت مساحات سيارة (عمر) نصف النقل، الشيفروليه، تزيل آثار الثلوج من أمام عينيه.. وهي تسير بسرعة متوسطة نحو الحجر الصحي بالمدينة.

كان قد بدأ التفكير في القضية.. كان أيضًا يحتاج إلى رِفقة.. و(نورمان) شارد منذ أن عاملته (صوفيا) بشكل سيئ..

فجأة التفت لـ (عمر) الجالس بجواره يتمتم بحسم:

- « أريد إعفائى.. »

بدا (عمر) كأنه لم يسمع شيئًا.. قائلًا:

- « هل ستتخلي عن أول قضية حقيقة لنا هكذا ببساطة؟ »

(نورمان) في تذمر:

- « أتت في الوقت الخطأ، ليس لدي استعداد نفسي كافٍ..»

مط (عمر) شفتيه:

- « إنها القاعدة.. لا شىء يأتي في الوقت المناسب! »

(نورمان) بإصرار:

- « إنها ليست قضية.. بل مجرد تحرٍّ لتضييع الوقت، لحين عودة المحترفين غدًا.. وهذا يُطفئ حماسى.. »

« حجة واهية للخوف من الفشل.. »

(نورمان) بغضب:

- « هل تستطيع إنكار أنهم غير مقتنعين بنا؟ »

« فلنجعلهم كذلك إذن.. »

تنهد (نورمان) صامتًا.. و(عمر) يُدير مقود العربة مردفًا بحسم:

- « السبب الرئيسي لرغبتك في الانسحاب ليس كل ما قلته، إنه شىء آخر تخشي مواجهته.. (صوفيا).. »

تراجعت لهجة (نورمان) - بشكل مُضحك - عند سماعه للاسم.. قائلًا:

- « ماذا عنها؟ »

« هل ستترك فرصة العمل معها تمر هكذا ببساطة؟ »

لم يقاوم (نورمان) الفكرة.. وظهر عليه الإحباط.. متمتمًا:

- « لن يُحدث هذا فارقًا.. »

هز (عمر) رأسه في نفى.. قائلًا:

- « لا أوافقك الرأى.. فليس معني أنك فشلت في تقديم نفسك لها مرة، أنك ستظل هكذا. مشكلة تركيبة (صوفيا) النفسية أنه لا يناسبها سوي الشخص الصـــارم، الذي لا يُظهر السعي إليها؛ لذا لو أنك مارست بعض الاحتراف والترفع.. أظنها قد تبدأ بالاهتمام بك.. وتلك القضية فرصتك لإظهار ذلك.. »

كان (نورمان) من النوع البسيط، ذي المشاعر السطحية.. والذي تستطيع أن تجعله يُغير رأيه بكلمة واحدة.

بعد عبارة (عمر).. فجأة بدا في سعادته كطفل صغير.. ذاهب إلى مدينة الملاهى، بعدما أخبره أبيه بالأمر أثناء عودتهم إلى المنزل من المدرسة..

عقد حاجبيه في انبهار.. وملأ الدنيا ضجيجًا وحماسًا.. مردِدًا:

- « تفتكر؟ »

كان (عمر) يكره بشدة لعب دور العليم ببواطن النساء، لكنه لم يجد سوي تلك الطريقة، لإقناع (نورمان) على الاستمرار..

- « نعم.. النساء دائمًا هكذا.. لا يَمِلْنَ سوي للذي يقوم بسحلهن.. »

(نورمان) بحماس:

- « لِنُرِهن إذن مَنْ نحن.. »

اكتفي (عمر) بتلك الابتسامة الهادئة، والتي نادرًا ما تعلو وجهه.. واستمر في القيادة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4 - سري للغاية..

الثالثة وتسع وأربعون دقيقة مساءً: PM 3:49

مطار مدينة (أورلاندو) [12] الدولى.. والذي يبعد حوإلى مائة كيلو متر تقريبًا عن مدينة (تامبا).

أنهي (طارق) إجراءات دخوله المدينة، المشهورة عالميًّا بمدينة ملاهي (ديزني لاند)..

ثم أخذ يبحث عن (ميكى) و(بطوط).. أو حتى تلك الديناصورات التي تقتنص البشر في الشوارع، لم يجدها!

كان يتطلع لكل شىء حوله في انبهار شديد.. ووحشة في نفس الوقت.. فهو على الرغم من تعوده على إحساس الغربة الداخلية في مصر، إلا أن الأمر هذه المرة مختلف.

فالغربة الداخلية كانت دائمًا ما يجد فيها إنسانًا يعرف أيدولوجيته جيدًا، يتحدث معه..

يستطيع إيجاد مسجد يصلي وينام فيه..

يعرف حتى مهارة التسول لو أصابه الجوع..

أما هنا فكل شىء سريع.. ومريب.. ويدفع للتوتر..

وقف على باب المطار.. يُخرج هاتفه الخلوى.. ويتصل بذلك الرقم الذي أعطاه له (عمر)..

لم يغب الرد.. وأتاه ذلك الصوت المعدني البارد:

- « ألو.. »

(طارق) بلهفة:

- « بروفيسور (عمر).. مرحبًا.. »

الأخير بحدة:

- « أين كان ما تريده أيها المتصل.. فلست مستعدًّا له الآن.. »

وأغلق الخط..

أصيب (طارق) بالصدمة.. وهو يتطلع إلى الهاتف.. متمتمًا:

- « الوغد لم يحفظ رقمي على هاتفه! »

ثم أعاد الاتصال.. عاد الصوت يقول:

- « لقد أخبرتك أننى..... »

قاطعه (طارق).. قائلًا:

- « أنا ابن عمتك (طارق).. »

(عمر) بجدية:

- « (طارق) مَنْ؟ »

الأخير بسخرية:

- « ليس هذا الوقت المناسب للعبث.. »

صمت (عمر) لحظة.. ثم قال:

- « آه.. تذكرت.. حمدًا للَّه على السلامة.. »

تنفس (طارق) الصعداء:

- « اللَّه يسلمك.. »

« أين أنت الآن؟ »

(طارق) بدهشة:

- « مطار (أورلاندو).. هل نسيت.. أنت مَنْ أرسل الدعوة.. »

قال (عمر) بسرعة:

- « أنا بعيد عنك تمامًا الآن، أيضًا أعمل في قضية لست أدري متي سأنتهي منها، عنوان المنزل أنت تعرفه.. المفتاح ستجده تحت دواسة الباب.. حظًا موفقًا.. »

ومن جديد أنهي الاتصال..

ومن جديد نظر (طارق) إلى الهاتف بدهشة.. يتمتم بسخرية:

- « بداية ليست موفقة! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وأربعون دقيقة مساءً: 3:40 PM

توقفت سيارة (عمر) أمام مبني ضخم تابع للوكالة الفيدرالية، خصصته الهيئة كحجر صحى.

كان المكان يعج بالكثافات الأمنية المشددة، التي تحمل الإيقاع الأمريكي الشهير.. ويسيل لها لعاب الصحافة.

هبط (عمر) دون رهبة.. وبعد ارتدائه زيًّا عازلًا.. ومواجهة بعض الصعوبات الأمنية، أصبح في الداخل بصحبة (نورمان)..

- « مَن المسئول هنا؟ »

كان هذا سؤال (عمر).. والذي أجابه أحد الأطباء الشباب الذي يذخر بهم المكان..

- « الدكتور (باز).. »

وأشار نحو رجل ضخم الجثة.. يتحرك عن بعد.

بدا الرجل من تلك النوعية المشغولة دائمًا.. والتي قد تصيبك بالتوتر حين تتعامل معها.. فأنت لا تستطيع أن تنتزع منه أي حديث إلا وهو يتحرك.

تأمل (نورمان) الجثث الكثيرة من حوله.. متمتمًا برهبة:

- « كيف وصل الأمر لتلك الدرجة.. إنه يُشبه الوباء.. »

ثم أحكم إغلاق زيه الواقى.. في اللحظة التي اقترب فيها (عمر) من هدفه..

- « دكتور (باز)؟ »

استدار الأخير يتطلع إليه.. وإلى هويته المعلقة فوق صدره، قبل أن يقول بحزم:

- « ليس لدي إجابة لأي سؤال.. »

كان يتكلم وهو يتحرك.. لاحقه (عمر) يردد:

- « ولا حتى معرفة مكان الدكتور (تورادو)؟ »

أعطي (باز) بعض الأوامر السريعة لرجاله.. ثم أجاب (عمر):

- « إنه في غيبوبة عميقة (score 3).. ولن تستطيع انتزاع شىء منه، إلا بعد أشهر.. هذا طبعًا لو أفاق.. »

استوقفه (عمر) يقول بحدة:

- « لقد سألت عن مكانه.. وليس طبيعة حالته! »

توقف (باز) يلهث قائلًا:

- « وبما سيفيدك معرفة مكانه.. طالما هو في غيبوبة! »

« لدي أسبابي الخاصة.. »

التقت أعينهما في تحدٍّ لثوانٍ.. قبل أن يعطيه (باز) أسخف ابتسامة لديه مرددًا:

- « غرفة رقم (1321).. الدور الأخير.. »

اكتفي (عمر) بتصدير ملامحه الباردة.. واتجه إلى المصعد. تأمله (باز) حتى اختفي من أمامه.. ثم أسرع يتصل بجهة ما.

تحرك المصعد.. و(نورمان) يتمتم بتوتر:

- « بداية سيئة.. »

(عمر) بعناد:

- « المهم هي النهاية.. »

« وكيف سنصل إليها.. وسط ذلك المناخ؟ »

أشار (عمر) نحو رأسه.. يتمتم:

- « بالعقل.. »

توقف المصعد بالدور الأخير.. وفتح ببطء، بدا المكان هادئًا.. لكن تشتم فيه رائحة الموت!

لم يستقبلهما أحد.. فسار (عمر) في أحد الممرات، حتى قابله فرد أمن.. يقول بحدة:

- « من أنتم.. وكيف صعدتم إلى هنا؟ »

أضاع (عمر) معه بعض الوقت؛ ليقنعه بشرعية عمله.. قبل أن يسمح له بالمرور..

- « أين الغرفة رقم (1321).. »

أشار له فرد الأمن قائلًا:

- « هناك.. »

تقدم (عمر) حتى وقف أمام ذلك الحاجز الزجاجي السميك يتأمل دكتور (تورادو). بدا الرجل أزرق البشرة تمامًا إلى حد مخيف.. كأنه مخلوق فضائي

في أحد أفلام سلسلة حرب النجوم!

استكان في فراشه.. وقد اتصلت به العديد من الأجهزة المعقدة والخراطيم، أخذ (عمر) يتأمله لبرهة.. قبل أن يأتيه ذلك الصوت القوي من خلفه.. يقول:

- « خسارة كبيرة لنا.. أن نفقد ذلك العَالِم.. »

انتفض (نورمان).. بينما استدار (عمر) يتطلع لذلك الرجل المتأنق.. والذي ظهر لهم فجأة من العدم!

مد الرجل يده لهم مصافحًا بقوة.. وهو يردف:

- « (توم).. مبعوث البنتاجون.. »

تبادل (عمر) معه التحية - دون أن يشعر نحوه بالارتياح - قبل أن يقول:

- « مرحبًا.. »

صافحه (نورمان) بشكل رسمى.. و(توم) يُضيف:

- « نحن مَنْ كلفكم بالأمر.. »

اكتفي (عمر) بإيماءة من رأسه.. ثم تساءل:

- « هل توصلتم لشىء؟ »

امتعض وجه (توم).. لاعبًا دور المحترف بشكل سيئ.. قبل أن يجيب:

- « حتى الآن يبدو الأمر برمته غامضًا.. لكن بعض الخبراء بدءوا يرجحون نظرية أن التابوت حين فتحه كان يحوي ميكروبًا تسرب.. وأحدَث كل هذا.. »

مط (عمر) شفتيه.. قائلًا:

- « إنه الاحتمال الوحيد المنطقي لتبرير الموقف، لكن كيف تسرب.. وقد اتخذوا كل إجراءات العزل! »

(توم) بحيرة بدت مُفتعلة:

- « لا أحد يعرف.. إنهم حتى لا يستطيعون تأكيد نظريتهم! »

« كيف؟ »

« الفحص الأولي لدماء الضحايا.. لم يجدوا به أي أثر فيروسي أو بكتيري! »

ضاقت عينا (عمر) يفكر.. وعاد ينظر لغرفة العناية.. متمتمًا:

- « هناك أيضًا سؤال يُزيد الأمر غموضًا! »

(توم) بحذر:

- « تقصد الدكتور (تورادو)؟ »

« نعم.. لماذا هو الوحيد الذي بقي حيًّا حتى الآن.. رغم أنه كان من أوائل الحالات التي أصيبت! »

(توم) بنفس الحذر.. لكن بلهجة بدت غير مريحة:

- « هذا ما نعمل عليه الآن، القيام برصد تطورات رد فعل جهازه المناعي على مدار الساعة.. »

ران الصمت بينهم لثوانٍ.. قبل أن يعود (عمر) قائلًا:

- « أريد الحصول على بعض عيناته الخلوية؟ »

بدأ الوجه السيئ لـ (توم) في الظهور.. وهو يقول باستخفاف يصعب رصده:

- « لماذا؟ »

(عمر) ببرود:

- « لنساعدكم في البحث.. »

(توم) بحسم:

- « لقد أصبحت حالة الدكتور (تورادو) تمس الأمن القومى.. وصار كل ما يتعلق به يخضع لعبارة سري للغاية! »

(عمر) بمزيد من البرود:

- « سري لأي درجة؟ »

(توم) بتحدٍّ:

- « لدرجة أن أي معلومة تتعلق به، لن تغادر تلك الغرفة.. وهذا ما تم قوله لعملاء المباحث الفيدرالية منذ قليل، لكننا حتمًا لن نفعل هذا معكم.. هل تعرف لماذا؟ »

- « لماذا؟ »

صمت (توم) لحظة.. ثم اقترب يقول بغموض:

- « لأنكم جزء من البنتاجون.. وكل النتائج أبحاثكم تعرض علينا في النهاية.. »

نمي فوق ملامح (عمر) شبه ابتسامة ساخرة.. و(توم) يأمر بتجهيز عينة دماء للدكتور (تورادو)..

في اللحظة التي رن فيها هاتف (عمر) الخلوى، كان رقمًا غريبًا غير محفوظ لديه.. فتح الخط..

- « بروفيسور (عمر).. مرحبًا.. »

أجابه بحدة:

- « أين كان ما تريده أيها المتصل.. فلست مستعد له الآن.. »

ثم أغلق الخط..

أحضر سريعًا أحد الأطباء عينة الدماء.. فالتقطها (نورمان) ووضعها في جيبه بحرص، قبل أن يلتفت (عمر) إلى مستر (توم) يقول كإنهاء للموقف:

- « أشكرك على تعاونك.. »

أعطي كل منهما الآخر ابتسامة سخيفة.. ثم انصرف (عمر) بصحبة (نورمان) في صمت.

عاد الهاتف يرن بإلحاح..

- « لقد أخبرتك أنني ... »

قاطعه الصوت.. قائلًا:

- « أنا ابن عمتك (طارق).. »

(عمر) بجدية:

- « (طارق) مَنْ؟ »

الأخير بسخرية:

- « ليس هذا الوقت المناسب للعبث.. »

صمت (عمر) لحظة.. ثم قال:

- « آه.. تذكرت.. حمدًا للَّه على السلامة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة وخمس وعشرون دقيقة مساءً: 3:25 PM

جلس (مارتن) مساعد الدكتورة (صوفيا) أمام شاشة بلازمية حديثة، تعرض صورة مُكبرة ألف مرة، لعينة من دماء مستر (فويت).

بدا شارد الذهن تمامًا.. وأصابع يده اليسري تعبث بكرتين صغيرتين من المعدنِ، قبل أن يتمتم:

- « لم أشاهد شيئًا كهذا من قبل!! »

انضمت إليه (صوفيا) تؤيد رأيه قائلة بدهشة:

- «كان معك حق، انظر لكرات الدم الحمراء [13].. الهيموجلوبين (Hemoglobin) بها لا يحمل ذرة أكسجين واحدة! »

- « تبدل لنيتروجين ثلاثي القواعد.. هذا يبرر إذن تحول الضحية للون الأزرق.. »

أصابت (صوفيا) الحيرة أكثر.. قائلة:

- « من أين أتي النيتروجين؟ وكيف حدث هذا؟ »

ازداد إيقاع دوران الكرات المعدنية بين أصابع (مارتن)، كوسيلة تفريغ للتوتر.. وهو يعود للنظر إلى شريحة ميكروسكوبية أمامه.. قائلًا:

- « ذلك غير مفهوم.. مجال الخلية يبدو أمامي نظيفًا تمامًا من أي جسم غريب! »

فكرت (صوفيا) قليلًا:

- « ماذا لو أن ما نبحث عنه، أصغر بكثير من أن يبدو لنا الآن؟ »

« ماذا تعنين؟ »

تحركت قائلة:

- « حجـم التكبير.. لماذا لا نفـترض أن الشىء الذي نطــارده، قـد يكون

موجودًا داخل عُضيات الخلية نفسها.. أو ملتحمًا بشريط الشفرة الوراثية، كنوع من التنكر »

أصاب الحماس (مارتن)..

- « بسيطة.. »

وشرع في تنفيذ فكرتها.. لكنها استوقفته تضيف بإثارة:

- « هناك أيضًا نقطة أخري لا بد من فحصها.. »

- « ما هى؟ »

- « حجم كرات الدم.. ألا تري أن غالبيتها حجمه تحت الطبيعى؟ »

مط (مارتن) شفتيه يفكر.. مضيفًا:

- « ربما لأن الوزن الجزيئي للنيتروجين أقل من الأكسجين.. »

(صوفيا) بعدم اقتناع:

- « ليس مبررًا كافيًا.. »

- « سنتأكد من هذا.. »

ونظر كل منهما إلى الآخر تلك النظرة الحماسية.. ثم انطلقا في العمل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

5 - تورادو..

الرابعة وعشر دقائق مساءً: PM 4:10

بدأ الظلام يفرض وجوده، كانت تلك هي إحدي مشكلات (عمر)، التي يعاني منها لدرجة المرض.. الظلام..

فهو لا يستطيع الرؤية بشكل جيد أثناء الليل.. رغم أن نظره سليم تمامًا.. لم يصل معه الأطباء لتشخيص حاسم.. سوي العامل النفسى..

شرع في إخراج نظارته من جيب معطفه الداخلى، لم يجدها، بدا عليه الضيق.. فقال (نورمان):

- « ماذا هناك؟ »

- « نظارتى.. نسيت إحضارها اليوم.. »

ابتسم (نورمان).. قائلًا:

- « أنت لا تتحرك دونها.. »

(عمر) بسخرية:

- « اليوم نسيتها.. »

شرع (نورمان) في ركوب السيارة:

- « ألا تستطيع أن تكمل بدونها؟ »

- « تعرف أن هذا مستحيل.. »

نظر (نورمان) لساعته.. قائلًا:

- « هذا سيضيع ساعة كاملة.. والوقت ليس في صالحنا.. »

(عمر):

- « هناك حل قد يوفر بعض الوقت.. »

« ما هو؟ »

« أن نفترق.. أنت تعود للمركز لتسليم العينة.. ومعرفة آخر التطورات، وأنا سأمر على المنزل سريعًا.. ثم أذهب بعدها للبلدية لفحص المومياء.. »

تقبل (نورمان) الفكرة باستنكار:

- « هل تتركني ليلة رأس السنة وحيدًا في الشارع.. »

- « إنه قدرك.. »

هبط (نورمان) من السيارة.. قبل أن يميل عليها متسائلًا:

- « ما الخطوة التالية؟ »

- « لا أعرف.. الأحداث هي التي ستقرر.. »

وأسرع (عمر) في الانطلاق قبل أن يدركه الظلام أكثر بشكل كامل. تأمل (نورمان) السيارة في غيظ وهي تبتعد من أمامه، بعدها تقبل الفكرة.. ووضع يده في جيب معطفه.. وأخذ يتلفت حوله باحثًا عن تاكسى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرابعة وثمان دقائق مساءً: 4:08 PM

فجأة عاد الدكتور (تورادو) إلى الوعى، حرك أصابع يده.. ثم فتح عينيه ببطء يتطلع لكل شىء حوله.

صداع رهيب اكتنف رأسه بمجرد أن فعل هذا.. عاد يُغلق عينيه محاولًا تحمل الأمر.

أدرك من تلك اللفتة الصغيرة أنه في غرفة عناية مركزة. شعر بالإعياء الشديد والإرهاق يجتاح كل جسده، لكن مع الوقت بدأ يعتاد على الأمر.. ويستعيد بعض سيطرته.

- « ما الذي أتي بي إلى هنا؟ »

كان هذا أول سؤال بدر إلى ذهنه.. آخر شىء يذكره عودته للمنزل بعد إنهاء فحص ذلك التابوت..

- « آه.. الآن تذكرت.. »

فبعد دخوله المنزل مباشرة.. أصيب بحالة من الاختناق الشديد.. و ...

فقد الوعي ...

- « لم تكن نوبة قلبية.. »

عاد يفتح عينيه بنفس البطء.. فبدا ألم رؤية الإضاءة محتملًا هذه المرة، أخذ يتأمل كل شىء دون تركيز، حتى وصلت رؤيته لكف يده.. كانت زرقاء تمامًا!!

أصابته حالة من الدهشة.. والتي سرعان ما تطورت إلى الفزع.. وهو يرفع يده أكثر لتقابل عينيه.

أغلق جفونه عدة مرات سريعة، لاحتمالية أن تكون الرؤية غير واضحة، لكن ظلت يده تحمل نفس اللون الأزرق!

ازدادت نبضات قلبه.. رصدت المستقبلات المتصلة بجسده ذلك.. فانطلق ذلك الأزيز المزعج المنتظم..

رغم الانفعال.. أدرك الدكتور (تورادو) ما يحدث.. ولسبب لا يعلمه هو شخصيًّا، عاد يُغلق عينيه، متظاهرًا بأنه ما زال فاقدا للوعى!

امتلأت الغرفة في ثوانٍ بكل المتابعين للحالة.. ومن خلفهم ظهر مستر (توم)..

- « ماذا حدث؟ »

أجابه الدكتور (باز):

- «(SVT)[14]..»

لم يفهم (توم) المصطلح الطبى.. فأضاف بحدة ساخرة مخيفة:

- « ألا تستطيع ملاحظة أنني لست طبيبًا؟! »

ازدرد (باز) لعابه موضحًا:

- « معذرة.. أعني تسارع بُطيني في عضلة القلب.. »

انتفض (تورادو) داخليًّا عندما تسرب إلى أذنه صوت (توم).. إنه يعرفه جيدًا.. وعلى الفور انطلق عقله يفكر..

- « ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟ »

وبدأ عقله.. يحاول الربط بين الكثير من الأشياء.. حتى قاده إلى شىء مُفزع!

- « مستحيل! »

هنا من كثرة استنكاره للفكرة التي استنتجها.. قاوم عقله الخوض في الأمر.. فانقلب انفعاله إلى غضب داخلى.. أدي إلى تزايد سوء حالته.

ازدادت الغرفة إثارة.. ودكتور (باز) يأمر بإعطاء عقار (فيرابميل) (Verapamil) الشهير، قبل أن يُضيف أحد أطباء الفريق بلهفة:

- « سيدى.. المخ يسجل نشاطًا كبيرًا! »

استدار (باز).. ومعه الجميع يتطلع لأحد الشاشات الكثيرة التي تملأ المكان..

- « ماذا يعني هذا؟ »

كان ذلك سؤال (توم).. فأجابه (باز) على الفور:

- « إما أنه يعاني من كابوس.. أو في طريقه إلى استعادة الوعى.. »

تمتم (توم):

- « وعى؟ »

واقترب يرمق (تورادو) بتركيز شديد.. ونظرات متفحصة..

لكن لهجة القلق الواضحة، التي نطق بها كلمته الأخيرة، جلعت (تورادو) يميل أكثر لتصديق صحة استنتاجاته.

هنا رغم عاصفة الغضب التي كانت تجتاح كيانه الداخلى، كان يعرف يقينًا، أنه لا بد أن يهدأ.. ليس هذا فقط.. بل أيضًا لا بد ألا يعرف أحد أنه قد استرد وعيه.

بدأ يحاول الاستفادة من تمارين (اليوجا) والتأمل.. التي كان يقضي بها غالبية وقته مؤخرًا.. وجه تفكيره لشىء بعيد.. بعيد.. عن كل ما يحدث.

وبالفعل عادت كل أرقام معدلاته الحيوية للاستقرار.. بل وأقل مما كانت عليه!

تنهد (باز) بارتياح:

- « مرت بسلام.. »

تدخل (توم) يسأل.. دون أن يرفع عينيه ثانية واحدة عن مراقبة (تورادو):

- « ماذا عن نشاط المخ؟ »

أجاب (باز).. وهو يمط شفتيه:

- « يبدو أنه كان يعاني من كابوس ما.. »

ثم استدار يعطي بعض الأوامر:

- « لا بد من البقاء معه لنصف ساعة أخرى، حتى يتم التأكد من استقراره تمامًا.. »

أماء أحد أطباء الفريق برأسه.. قبل أن يغادر (باز).. مخلفًا وراءه(توم) الذي ظل يرمق (تورادو) في شك.. والعديد من الأفكار السوداء تقتحم رأسه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرابعة وخمس وثلاثون دقيقة مساءً: 4:35 PM

أخذ (نورمان) نفسًا عميقًا، واستدعي كل طاقته الداخلية، قبل أن يدلف إلى الدكتورة (صوفيا).. ليبدو جادًّا.

كانت هي و(مارتن) غارقين في العمل.. فلم يشعرا بوجوده، حتى رفعت الأخيرة عينيها من فوق إحدي الشرائح تقول بروتينية.. بمجرد أن لمحته:

- « لم نصل لشىء بعد.. »

بدا (نورمان) لها فجأة مختلفًا.. وهو يمد يده إليها بعينة دماء الدكتور (تورادو) قائلًا بحدة:

- « نريد فحصها.. »

ضاقت عيناها.. وهي تلتقط منه الأنبوبة متسائلة:

- « عينة مَنْ هذه؟ »

- « الدكتور (تورادو).. العضو الثالث من فريق البحث.. »

تدخل (مارتن) يقول بإحباط:

- « وما الذي قد نجده بها مختلفًا؟ »

نقل (نورمان) نظراته بين (صوفيا) و(مارتن) قبل أن يقول بإثارة:

- « الرجل ما زال حيًّا.. »

انقلب إحباط (مارتن) إلى فضول، وروتينية (صوفيا) إلى اهتمام.. وهي تضيف:

- « عظيم.. »

والتقطت العينة.. وشرعت في تجهيز شريحة ميكروسكوبية، ثم نظرت إليها:

- « غريبة.. لا يوجد أي اختلاف بينها وبين الشرائح التي لدينا! »

(نورمان):

- « ماذا تعنين؟ »

عرضت (صوفيا) صورة الشريحة فوق شاشة بلازمية.. ثم أجابت:

- « أقصد أن عينة دماء الدكتور (تورادو) تتطابق تمامًا في نتائجها مع كل عينات الضحايا التي لدينا، دون أدني اختلاف! »

نظر (مارتن) للشريحة عبر الميكروسكوب قائلًا بحسم:

- « تلك العينة من المستحيل أن تكون لشخص حي! »

(نورمان) بحيرة وعدم فهم:

- « لماذا؟ »

(صوفيا) بثقة:

- « لأنها لا تحمل ذرة أكسجين.. وهذا ضد الحياة.. »

ارتبك (نورمان) أمام ثقتها.. مما دفعه لأن يدافع عن موقفه بحدة عصبية.. قائلًا:

- « وأنا أؤكد أن تلك الدماء تخص شخصًا حيًّا.. وقد تم أخذها أمامى.. »

ران الصمت على الغرفة.. وكل منهم يتمسك بموقفه.. حتى تدخل (مارتن) يقول:

- « مهلًا.. نستطيع حسم الأمر.. »

- « كيف؟ »

- « بفحص البصمة الجينية للدكتور (تورادو).. »

تأملته الوجوه.. قبل أن يسأله (نورمان):

- « وهل لديك البصمة الجينية للرجل لمطابقتها؟ »

(مارتن):

- « لا.. لكن يسهل الحصول عليها.. »

وجلس أمام جهازه يستطرد بحماس:

- « أليس هو الدكتور (تورادو جوانزالس) مؤلف كتاب الطفرة الشهير؟ »

تحاشي (نورمان) النظر لـ (صوفيا).. وهو يقول بإحراج:

- « لا أعرف.. »

مط (مارتن) شفتيه باستياء من جهله.. مضيفًا:

- « هل تستطيع التعرف على صورته؟ »

- « نعم.. »

ضرب (مارتن) زرًّا أخيرًا.. ثم أشار إلى شاشة جهازه.. متسائلًا:

- « تلك هي »

« نعم.. »

اعتدل (مارتن).. وأخذ يعمل لبضع ثوانٍ قبل أن يقول بحسم:

- « بصمة الدكتور (تورادو) الجينية.. »

لم تُضع (صوفيا) الوقت.. فأثناء ما كان (مارتن) يقوم بالبحث، أخذت نقطة من دماء العينة التي أحضرها (نورمان).. وجهزت بصمتها الجينية..

وعند المطابقة بين بصمة الدكتور (تورادو) الحقيقية التي حصل عليها (مارتن).. وبين تلك التي جهزتها (صوفيا) من عينة الدماء.. ضاقت عينا (نورمان) متمتمًا:

- « مستحيل!! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

6 - اللقـــاء..

الرابعة وتسع وأربعون دقيقة مساءً: 4:49 PM

هبط (طارق) من التاكسي ينظر للسائق بقلق متسائلًا بإنجليزية رديئة:

- « كم تريد؟ »

نظر السائق للعداد قائلًا:

- «المسافة (60) ميلًا [15].. »

رسم (طارق) تلك الابتسامة السخيفة المفتعلة على شفتيه.. متمتمًا:

- « ما زلت لا أعرف كم تريد؟ »

السائق بضجر:

- « الميل هنا بثلاثة دولار وعشرين سنتًا.. »

حسب (طارق) تلك الحسبة سريعًا في رأسه، قبل أن تتسع عينيه في رعب قائلًا:

- « أنت تريد (190) دولارًا تقريبًا.. »

السائق ببساطة:

- « بل (200) دولار.. فنحن في ليلة رأس السنة.. »

تسارعت نبضات قلب (طارق) - محاولًا التماسك - وهو يعطيه المبلغ الذي يمثل بالنسبة له ثروة.

التقط السائق منه المال بسعادة مردفًا:

- « Merry Christmas.. »

(طارق) بمرارة ساخرة:

- « Merry Christmas.. »

ثم أخذ يحصي ما تبقي معه من دولارات..

- « أعتقد أن تلك أول وآخر مرة سأركب فيها تاكسي هنا.. »

بعدها حَمل حقيبته الرياضية.. وأخذ يتأمل المنطقة، غيوم.. شاطئ غير مُمَهد.. كثافة سكانية قليلة، باختصار كان إحساسه اللحظي بالمكان ليس جيدًا.

سار بهدوء يبحث وسط مباني الصف الأول المطلة على مياه الخليج مباشرة.. حتى وجد رقم صندوق البريد الخاص بـ (عمر).

تنهد متمتمًا.. وهو ينظر للمبنى:

- « أخيرًا.. »

كان العقار قاحلًا.. مهجورًا.. ولا يصلح سوي أن يكون مقرًّا لقاتل متسلسل.. عاد يتمتم بسخرية:

- « سافرت عبر كوكب الأرض؛ لتستقر هنا؟! »

دلف لواجهة المنزل بتوجس وخوف حقيقى.. فقد كان كل شىء يدفعه للفرار.. خاصة تلك العجوز التي ظهرت له فجأة.. وحشرت نفسها معه بالمصعد..

- « هالو.. »

كانت تلك تحية (طارق)، لكن العجوز ظلت تنظر له بحدة، وهي تحمل كرتونة متوسطة بها أطعمة وبعض الأغراض..

كاد (طارق) أن يكرر تحيته، علها لم تسمع، لكن المصعد توقف.. وهبطت منه دون أن تعطيه أي رد فعل.

عاد المصعد ينغلق.. و(طارق) يزفر بقوة..

- « إلى الجحيم.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غادر (طارق) المصعد في الدور التالى، فوجد أمامه ردهة واسعة.. وأبواب ثلاثة شقق، وقف حائرًا يفكر..

- « أي شقة؟ »

لكنه سرعان ما تذكر أمر الدواسة، كان هناك شقة واحدة فقط.. بابها شبه متآكل.. هي التي كان يوجد أمامها دواسة.

تقدم.. وانحني يلقط المفتاح مثلما أخبره (عمر)..

دلف للشقة ببطء.. فقابله الظلام الشديد، بحثت أصابعه عن أي مصدر قريب للإضاءة، لم يجد.

في النهاية أغلق الباب خلفه.. ووقف قليلًا على أمل أن تعتاد عيناه الظلام.. ويري شيئًا..

وفعلًا.. بدأت أشباح كل شىء تتضح.. سقف عالٍ.. تماثيل.. كتب.. الكثير من الكتب.. و.. و ...

تلك العيون التي تلمع في الظلام.. وتتحرك نحوه بسرعة.. لم يضع (طارق) ثانية، وانطلق يصعد فوق ذلك المكتب صارخًا:

- « اللعنة.. »

ظلت العيون قابعة على الأرض، تحاصره.. فأشعل (طارق) إضاءة هاتفه.. قبل أن يزوي ما بين حاجبيه متمتمًا بدهشة:

- « إنه قط.. لا ليس قطًّا.. لا يوجد قط بهذا الجحم! »

هدأت أنفاسه قليلًا.. وجلس فوق المكتب يفكر فيما سيفعله، هل سيهبط.. أم سيقضي بقية ليلته هنا؟

في النهاية استجمع شجاعته.. وحاول العودة إلى الأرض.. فزمجر القط في تحفز.. مما جعل (طارق) يعود في قراره..

- « حسنًا أيها الوغد.. لا تغضب.. »

وظل فوق المكتب لعشر دقائق يحاول الاتصال بـ (عمر).. حتى فجأة فتح الأخير الباب.. والذي مجرد أن شعر بوجوده.. أشهر مسدسه صارخًا:

- « من أنت؟ »

« أنا (طارق) ابن عمتك.. »

ضغط (عمر) زر الإضاءة يتأمل ذعره لثوانٍ.. قبل أن يخفض مسدسه.. متمتمًا في تراجع:

- « لقد أتيت في اليوم الخطأ.. »

هبط (طارق) من فوق المكتب يتنفس الصعداء قائلًا:

- « أنا لم أحدده! »

صافحه (عمر) قائلًا بلهجة اعتذار.. وهو يلوح بيده:

- « آسف على كل شىء.. »

صافحه (طارق) بحرارة.. قبل أن يتأمل الشقة متمتمًا:

- « لا عليك.. »

(عمر).. باحثًا عن نظارته:

- « ما الذي جعلك تصعد فوق المكتب؟ »

تأمل (طارق) القط الذي ذهب للنوم كأن شيئًا لم يكن..

- « إنه ذلك الكائن.. »

ابتسم (عمر).. وهو يشغل جهاز الكمبيوتر:

- « (فرعون).. إنه الشىء الوحيد الذي ينتمي هنا لـ (مصر).. »

- « كيف؟ »

« قط نوبى.. من سلالة نادرة.. »

مط (طارق) شفتيه بدهشة.. متمتمًا:

- « احتمال.. المهم.. هل لديك شىء يُؤكل؟ »

كان (عمر) يفتقد فعلًا لذلك الإحساس بالألفة.. وصلة الدم..

- « هناك في الثلاجة.. »

تحرك (طارق) بحذر كوميدى.. كي لا يوقظ (فرعون)، في الوقت الذي ارتدي فيه (عمر) نظارته وجلس أمام الكمبيوتر.

كان يملك صلاحية الدخول لبعض الملفات السرية للحكومة، أخذ يضغط عدة أزرار متسارعة، حتى فتح صفحة الدكتور (تورادو).. وتوقف يقرأ ذلك السيل من المعلومات عنه..

كان من الواضح أنه شخصية هامة فعلًا..

أبحاث كثيرة في التكنولوجيا الجزيئية، صور تجمعه بعدد من رؤساء الدول، التواجد في غالبية الأحداث الهامة عالميًّا.. بالإضافة لتأليفه بعض الكتب.

بعد القراءة لم يجد (عمر) أي شىء غير عادي يحيط بالرجل، باستثناء ملحوظتين!!

الأولى.. التكرار المستمر لاسم أحد أهم صقور البنتاجون السابقين.. وعضو الكونجرس الحإلى (ويتمان هاريس) في كل الخلفيات.

والثانية.. أن كل الأخبار تنتهي عند فبراير (2010).. فلم يكن للدكتور (تورادو) أي وجود بعد هذا التاريخ!

وهذا يقودنا إلى احتمال من اثنين.. إما أنه اعتزل العلم.. وهذا لم يحدث بدليل مشاركته الرسمية في فتح التابوت..

مما يضعنا أمام الاحتمال الثاني الأقرب للصواب، وهو أنه كان يفعل شيئًا ما بعيدًا عن الأضواء؟

شرد (عمر) يفكر:

- « ماذا كُنت تفعل أيها الرجل؟ وهل هذا له علاقة بما يحدث؟ »

هنا فَكر (عمر) أن يبحث في مستوي أعلى من السرية.. وبالرغم مِنْ أن موقعه المهني يُتيح له ذلك، إلا أنه شعر بالتوتر والقلق..

وتلك الصفحة البالغة السرية لوزارة الدفاع تظهر أمامه.

أدخل اسم الدكتور (تورادو) ببطء.. وانتظر قليلًا، كان يتوقع أن تنهال عليه المعلومات مثلما حدث في بحثه الأول.. لكن ما ظهر كان العكس؟

- « غير متاح البحث في هذا الأمر.. سري للغاية.. »

تمتم (عمر) باستفزاز:

- « أنت شخص هام إذن؟ »

هذا أورثه المزيد من العناد.. صمت قليلًا يفكر.. ثم عاد للبحث في اتجاه آخر.. احتلت صورة (ويتمان) الشاشة.. وأخذ (عمر) يقرأ كل ما هو متعلق به، حتى خرج (طارق) من المطبخ يتمتم:

- « بقايا تلك البيتزا كانت رائعة.. »

(عمر) شاردًا:

- « هاه.. ماذا كنت تقول؟ »

ابتسم (طارق).. مضيفًا:

- « يبدو أنك تقوم بشىء هام؟ »

تنهد (عمر).. قائلًا وهو يغلق الكمبيوتر:

- « فعلًا.. »

ثم التقط معطفه.. يستطرد:

- « وأخشي أنني سوف أتركك بعض الوقت.. »

استوقفه (طارق) بقلق:

- « لا أرجوك.. لن أبقي دقيقة واحدة أخري مع هذا القط.. »

ابتسم (عمر) قائلًا:

- « (فرعون) أصبح يعرفك الآن.. ومع الوقت ستتحسن علاقتك به أكثر... »

(طارق) بحسم:

- « لا أعتقد أن هناك مستقبلًا لتلك العلاقة.. »

هنا.. ولأول مرة منذ فترة بعيدة.. ضحك (عمر) وهو يتساءل:

- « والحل.. ماذا أفعل الآن؟ »

(طارق) ببساطة:

- « الحل هو أن أذهب معك.. أنا لم أقطع كل تلك المسافة كي أجلس داخل الغرف المغلقة.. »

(عمر) كأنه يقلب الفكرة في رأسه:

- « تذهب معى؟ »

« نعم.. ما المانع؟ »

(عمر) بسخرية:

- « أنا ذاهب إلى العمل.. وليس إلى الملاهى.. »

(طارق) بلهجة الأطفال:

- « سأبقي في السيارة طيلة الوقت.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة وخمس عشرة دقيقة مساءً: 5:15 PM

وقف (توم) يراقب الدكتور (تورادو) عبر شاشة كبيرة في غرفته، قبل أن يتقدم نحوه أحد رجاله قائلًا بحزم:

- « هناك من قام بالاستعلام عن أبحاث الدكتور (تورادو).. »

تلقي منه (توم) التقرير باهتمام.. متسائلًا:

- « هل حصل على شىء؟ »

- « ما سمحنا به فقط.. »

- « عظيم.. هل حددتم موقعه الجغرافى؟ »

- « نعم.. إنه أحد رجال مركز ظواهر (تامبا) التابع لنا.. »

وأعطاه صورة حديثة لـ (عمر).. تأملها (توم) بغضب قبل أن يقول:

- « كُنت أشعر أنه سيجلب المتاعب.. »

ثم صمت يفكر قليلًا..

- « أريد كل معلومة عن ذلك الرجل، أريد أيضًا الإسراع في نقل الدكتور (تورادو) لمقر البنتاجون.. »

أماء الرجل برأسه.. ثم انصرف.. و(توم) يعاود النظر للشاشة.. مستطردًا:

- « فهناك لن يستطيع هؤلاء الأوغاد الوصول له.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة وأربعون دقيقة مساءً: 5:40 PM

قام (نورمان) بإرسال رسالة نصية لـ (عمر) تقول:

- « بعد مطابقة البصمة الجينية، تبين أن العينة التي حصلنا عليها من مستر (توم)، ليست للدكتور (تورادو).. »

لم يبدُ على (عمر) الدهشة.. وهو يُوقف سيارته أمام مبني بلدية (تامبا)، قائلًا لـ (طارق):

- « لن أتأخر كثيرًا.. »

- « خذ وقتك.. »

دلف (عمر) للمبني سريعًا، وأثناء ما كان يتطلع رئيس البلدية للتصريح الذي أعطاه له الأخير لمعاينة التابوت.. أخذ يسب ويلعن كل ثانية!

فمنذ أن دخلت تلك المومياء اللعينة المبنى.. وهو قد فقد استقراره..

قَلب التصريح بين يديه في غيظ.. ثم نظر لـ (عمر) المتشح بالسواد في معطفه القصير يتساءل بشك:

- « ما الهيئة التي تتبعها؟ »

- « الأمن القومى.. »

رئيس البلدية بمزيد من الشك:

- « لا يبدو هذا واضحًا في التصريح.. »

(عمر) بثقة باردة:

- « تستطيع الاتصال بهم.. »

عاد رئيس البلدية - شبه الثمل من تناول الكحول - يقول بتعطيل:

- « أيضًا التصريح يشمل شخصين، أنت ومساعدك (نورمان).. »

ثم نحي التصريح جانبًا.. وهو يستطرد بعناد غبى، كأنه وجد ثغرة يفسد بها الأمر:

- « أين (نورمان)؟ لن أسمح لك بالدخول دونه.. »

- « لماذا؟ »

- « لأن التصريح يشترط هذا.. »

كان هذا يبدو غباءً شديدًا من الرجل.. لكن (عمر) كان لا بد أن يتعامل مع الموقف بحكمة، صمت لحظة يفكر.. ثم قال:

- « المساعد موجود في السيارة بالخارج.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

7 - المومياء..

طلب (عمر) من (طارق) أن يلعب دور مساعده (نورمان)، دون أي يفهم أي تفاصيل، وقف الاثنان أمام مدير البلدية بشحوم جسده وصلعته.. وحالته التي ازدادت سوءًا من فرط تناول الكحول.

تأمل (عمر) يقول ببهجة زائفة:

- « أنت إذن من سينقذ العالم! »

سمع (عمر) العبارة جيدًا، لكنه ادعي عكس ذلك..

- « عفوًا.. ماذا قلت؟ »

لهجة (عمر) الجادة.. وإصراره جعلت الرجل يتراجع عن موقفه، فلن يضره كثيرًا أحمق آخر يريد فحص التابوت.. أخذ جرعة من كأس كحول كانت أمامه، ثم نهض بصعوبة يتمتم:

- « لا شيء.. »

بدأ يقودهم عبر أروقة المبني شبه الخإلى تمامًا من البشر، لدرجة أن أصوات خطواتهم بدت مرعبة.

فتح أحد المزاليج بإزعاج.. مرددًا بسخرية:

- « إقامة سعيدة.. »

وتركهم.. عائدًا لاحتساء الكحول.. فالكحول والكريسماس لا يفترقان!

انتظر (عمر) حتى اختفى.. ثم قال لـ (طارق):

- « انتظرني هنا.. »

اكتفي الأخير بإيماءة من رأسه.. قبل أن يدلف (عمر) يتأمل المكان بحذر شديد، كان أول شيء لاحظه.. عدم وجود حراسة.. على أثر المفروض أنه جلب كل تلك الأحداث، أو على الأقل بدأت مع ظهوره!

دخل الغرفة ببطء أكثر، حتى أصبح وسط ردهة واسعة حقيرة شبه متآكلة الجدران، لا يليق وجودها في ولاية غنية مثل (فلوريدا)!

استقر التابوت في المنتصف.. وسط إضاءة خافتة تليق بالحدث.. بعض خيوط العنكبوت هناك وهناك.. كراكيب..

باختصار كان مناخ الغرفة مثاليًّا تمامًا لحدوث شىء غير عادي بها.. ولم يبقَ سوي أن يتحرك الغطاء، ويخرج علينا العزيز (دراكولا).

تعثرت قدما (عمر) بشىء ما ملقي على الأرض.. فأحدث ذلك جلبة مفزعة، مما جعل (طارق) يقتحم الغرفة.. ويردد:

- « (عمر).. هل أنت بخير؟ »

أجابه الأخير بسرعة:

- « نعم.. »

(طارق) بقلق اختلط بالارتياح:

- « الحمد لله.. »

ثم أخذ يتأمل التابوت المستقر في منتصف الغرفة.. مستطردًا بإثارة:

- « هل هذا هو التابوت؟ »

تجاهل (عمر) السؤال.. قائلًا بحزم:

- « ليس من المفروض وجودك هنا.. »

(طارق) بمنطقية:

- « لقد فات أوان هذا التحذير.. »

(عمر):

- « ذلك يمثل خطورة كبيرة.. »

« اطمئن.. أنا معتاد على هذا.. »

تنهد (عمر).. وخلع نظارة الرؤية العادية.. وارتدي نظارة خاصة بالأشعة فوق البنفسجية.. متسائلًا:

- « كيف عرفت بأمر التابوت؟ »

كان السؤال يمثل الموافقة على بقائه، شعر (طارق) بالإثارة تتملكه.. قائلًا:

- « الصحافة العالمية.. »

تلون كل شىء باللون الفسفوري الأخضر أمام عيني (عمر)، خاصة الهيكل العظمي للمومياء.. والتي لم تتدخل في حفظها علوم البشر.

الطبيعة هي التي تكفلت بالأمر.. بعزلها داخل ذلك التابوت.

الآن بدأ طور التحلل والفناء - الذي تأخر كثيرًا - بعد تعرضها للهواء المباشر، بدليل تلك الرائحة التي بدأت تنبعث منها..

ولولا تلك البرودة القارصة لما تبقت حتى تلك اللحظة.

قام (طارق) بمساعدة (عمر) في الفحص.. والذي انتهي إلى لا شىء.. مجرد مومياء أخري بائسة ترقد في تابوت..

أنهي (عمر) عمله بالتقاط العديد من الصور لكل شىء، ثم أخذ عينة من بقايا النخاع الشوكي للمومياء.. وعظمة الترقوة.

وضع العينات في حاوية صغيرة.. ثم خلع النظارة.. وغادر الغرفة، تبعه (طارق) يسأل بفضول:

- « كيف لمومياء أثار ظهورها كل تلك الضجة، لا توضع في ثلاجة، أو حتى مكان لائق؟ »

كان هذا سؤالًا منطقيًّا جدًّا.. والإجابة عليه قد تفسر الكثير، اكتفي (عمر) بتلك الابتسامة الغامضة.. وهو يعود لرئيس البلدية.. والذي استقبله هذه المرة بمرح زائد مردِّدًا:

- « هل انتهيت؟ »

أماء (عمر) برأسه.. ثم سأله:

- « هل تم الفحص في ذلك القبو؟ »

- « لا.. »

وأشار رئيس البلدية لأعلى بطريقة مضحكة.. وهو يردف:

- « الدور الخامس.. »

(عمر):

- « ولماذا لم تظل المومياء هناك؟ »

- « لا أعرف.. لكنها ستُنقل في الصباح، ربما وضعوها هنا للتسهيل.. »

ضاقت عينا (عمر):

- « تُنقل.. إلى أين؟ »

الرجل بمزيد من الترنح:

- « لا أعرف.. تستطيع أن تسألهم.. إنهم أصدقاؤك.. »

(عمر) بحسم:

- « هل أستطيع إلقاء نظرة على غرفة الفحص؟ »

كان رئيس البلدية قد وصل لحالة مزاجية تسمح بتمرير أي شىء.. قال بسعادة:

- « طبعًا.. نحن في خدمة الأمن القومى.. »

واستطرد ينادي على شخص ما.. وهو يسعل بشدة.. حتى ظهر شاب هادئ الملامح، فقال له:

- « اصطحب ضيوفنا إلى الغرفة التي تم فيها فحص المومياء اليوم.. »

التقط الشاب أحد المفاتيح، من لوحة خلف رئيس البلدية.. متمتمًا بروتينية:

- « من هنا.. »

نظر (طارق) لـ (عمر) وسارا خلف الشاب حتى وصلا للغرفة.. فتحها الشاب قائلًا:

- « هل تريد شيئًا آخر يا سيدى؟ »

استوقفه (عمر) متسائلًا:

- « ألا يوجد تسجيل لعملية فتح التابوت؟ »

الشاب بتعاون:

- « طبعًا يوجد.. لكن مستر (توم) حصل عليه.. »

ضاقت عينا (عمر) عند سماع الاسم:

- « تقصد مستر (توم) مبعوث البنتاجون.. »

مط الشاب شفتيه:

- « لا أعرف.. »

عاد (عمر):

- « هل تستطيع وصفه.. »

فكر الشاب:

- « طويل.. أنيق.. قليل الكلام.. يرتدي دائمًا نظارة سوداء.. »

أضاف (طارق) بسخرية:

- « إنه حال الأوغاد في كل مكان.. »

نظر له (عمر) في صرامة.. فصمت (طارق) مردفًا بإحراج:

- « عفوًا.. »

قالها بالعربية.. فلم يفهم الشاب شيئًا.. و(عمر) يعود لسؤاله:

- « ماذا كانت علاقة مستر (توم) بالأمر؟ »

أجابه الشاب:

- « لا أعرف.. لكنه ظل يتردد على البلدية قبل حتى إحضار المومياء بيومين! »

أثارت العبارة تفكير (عمر) بشدة لدرجة الصمت، لاحظ الشاب ذلك.. فعاد يقول بتودد هامسًا:

- « رغم أن مستر (توم) حصل على كل التسجيلات، إلا أنه ما زال هناك وسيلة تستطيع بها رؤية ما حدث؟ »

« كيف؟ »

اقترب الشاب منه - كأنه سيذيع سرًّا - قائلًا:

- « كاميرات المراقبة اليومية العادية، الغرفة بها واحدة.. أتصور أن مستر (توم) لم يلتفت لذلك، خاصة أن رئيس البلدية قد أبلغهم أن الكاميرات معطلة منذ أسبوع مضى.. وتحتاج إلى صيانة.. مما جعلهم يقومون بالتسجيل الخاص، دون أن ينتبهوا إلى أن المهندس المسئول عن الصيانة قد حضر صباح اليوم، قبل حتى وصول المومياء.. وقام بإصلاحها.. »

كان يبدو على الشاب أنه ساخط عليهم بشدة، ربما لإصرارهم على عمله في تلك الليلة، رغم عدم وجود داعٍ لذلك من وجهة نظره.

تنهد (عمر) وربت على كتفه.. فهو يدرك جيدًا إحساس الذين يتذيلون القائمة في أي مؤسسة.. وهم لا يستحقون ذلك.

- « وأين توجد غرفة المراقبة؟ »

الشاب بحماس:

- « في نفس الدور.. »

وأخذ يقوده مرة أخري لغرفة صغيرة في آخر الرواق.. والشاب يتمتم:

- « هنا يتم تسجيل كل ما يحدث في المبني على مِدار الساعة.. »

تأمل (عمر) الشاشات العديدة التي احتلت حائطَا بأكمله، مثلما يحدث في الفنادق والمواقع الحيوية، كانت كل منها ترصد مساحة ما..

أشار الشاب نحو شاشة معينة.. قائلًا:

- « هذه غرفة الفحص.. »

تأملها (عمر).. بينما مط (طارق) شفتيه.. قائلًا بدهشة:

- « هل من المعقول أن تظل غرفة كهذه دون حراسة أمنية؟ »

أجابه الشاب بغل واضح:

- « هناك طاقم كامل يعمل هنا يوميًّا، لكنهم لم يحضروا اليوم.. »

شرع (عمر) في إخراج فلاشة ذاكرة صغيرة، وقام بتوصيلها بالكمبيوتر الرئيسى.. لتحميل نسخة من شرائط الفيديو التي تم تسجيلها آخر (24) ساعة.

لكن أثناء ما كان يفعل، استدار (طارق) يسأل الشاب بحذر:

- « لماذا تتعاون معنا هكذا.. رغم أننا لم نطلب منك شيئًا؟ »

أجابه الشاب بحسم:

- « لسببين.. الأول هو أن كل مَنْ يعمل في تلك الليلة يستحق التعاون.. »

ابتسم (عمر) متدخلًا:

- « والثانى؟ »

- « لقد كرهت مستر (توم) هذا منذ اللحظة الأولى.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السادسة وعشرون دقيقة مساءً: 6:20 PM

استعار (نورمان) عربة (مارتن).. وانطلق بها عائد للحجر الصحى، لم يكن يعرف هدفًا له..

لكنه بمجرد أن عرف أن العينة التي أعطاها له مستر (توم) عينة زائفة، حتى شعر بالغضب يتملكه..

ظل واقفًا بزاوية غير لافتة للنظر خلف المبنى، كأنه ينتظر حدوث شىء ما، أو فرصة للعودة كي يحصل على عينة حقيقية من دكتور (تورادو)..

الغريب أنه لم يكن بتلك الإيجابية في شخصيته، لقد كان دائمًا ما يفضل الهدوء.. وعدم إقحام نفسه فيما لا يعنيه..

- « ما الذي أصابه فجأة؟ »

إنه يريد الآن الصراخ بشدة.. والإعلان عن وجوده!

هل هي كلمات (عمر).. أم تلك المشاعر المُربكة التي تحتله؟

انخرط يفكر في كل تلك التفاصيل، محاولًا البحث عن إجابة، حتى فجأة اتسعت عيناه بشدة من رؤية ما يحدث أمامه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

8 - الهـــروب..

السادسة وسبع عشرة مساءً: 6:17 PM

ألقي الطبيب المسئول عن حالة الدكتور (تورادو) نظرة أخيرة على كل معدلاته الحيوية، اطمئن خلالها على أن كل شىء على ما يرام، ثم غادره.

بدت الغرفة خالية الآن تمامًا، مما جعل (تورادو) يفتح عينيه بحذر، يتأمل كل ما حوله، لكن بإحساس أكثر ثباتًا هذه المرة.

بدأ يفصل عن جسده تلك الغابة من الأسلاك، التي كانت جاثمة فوق صدره، لم يبقَ سوي كانيولا اتصلت بوريده العنقى.

حاول إزاحتها هي الأخرى.. لكنها صمدت..

ازدادٍ عنادًا.. واستجمع كل قواه الداخلية.. ومرة أخري جذبها بعنف. كان هذا خطأً كبيرًا.. فبمجرد أن انتهى، أحدثت الكانيولا جرحًا غائرًا في رقبته.

كتم صرخة ألم كادت تفلت.. والدماء تُغرق كل شىء. وضع يده سريعًا على مكان الجرح، وبدأ يبحث في الأدراج العديدة المجاورة عن أي ضمادة.

عثر على واحدة.. وسيطر على الجرح، لكن بعد أن لطخ كل شىء حوله بالدماء..

تأمل لونها الأزرق دون دهشة هذه المرة.. ثم بدأ يحاول النهوض، فجأة.. انتابه ذلك الدوار والإعياء الشديد..

ترنح.. وامتدت يده المرتعشة تحاول التقاط أسطوانة أكسجين صغيرة، كانت بجوار الفراش..

أسرع يملأ صدره بالأكسجين حتى استعاد بعض حيويته.. حاول بعدها معاودة النهوض.. فأطاعته قدماه هذه المرة.

لكنه بقي مترنحًا.. انتزع زيًّا عازلًا وجده أمامه.. وبدأ يرتديه..

بدت له اللحظات كالدهر.. خاصة عندما عاوده الإعياء.. وضيق التنفس، أخذ ما يكفيه من أكسجين مرة أخرى.. وهو يدرك أنه لن يستطيع التحرك بعيدًا دون تلك الأسطوانة اللعينة.

تسرب له الإحباط.. لكن رغبته في الحياة كانت أقوى، استدعي كامل إرادته.. ومد يده بحذر يحاول فتح باب الغرفة.

لم يستجب له الباب.. حاول مرة أخرى.. وأخرى.. حتى أدرك أنه مُوصد إلكترونيًّا..

- « اللعنة.. »

عاد يجلس فوق سريره يفكر.. ويأخذ جرعة أكسجين.. قبل أن يقرر ما سوف يفعله، تخلي عن حذره.. وعبث في جهاز رصد نبضات القلب.. فتعالت تلك الصفارة تملأ الدنيا ضجيجًا.

في نفس الثانية انفتح باب الغرفة ذاتيًّا.. وكان أول من دلف إليه الطبيب الذي غادره منذ دقائق.

أظلم الدكتور (تورادو) الغرفة.. ثم دفعه نحو الداخل..

- « فلتغفر لي ذلك.. »

انطلقت صرخة الطبيب وهو يرتطم بالعديد من الأسلاك.. وتبدأ تلك الشرارات في الخروج..

كان كل هدف (تورادو) هو الابتعاد عدة أمتار قبل ظهور أحد..

وبالفعل تحققت أمنيته، فعندما بدأ يأخذ طريقه نحو المصعد ببطء، ظهر أمامه الجميع قاصدين الغرفة.

لم يتعرف عليه أحد في زيه العازل، أو لم يخطر ببال أحد أن تلك الجثة النائمة في غرفة العناية الفائقة.. ستملك القدرة على الحركة بتلك السرعة.

لم يتعرف عليه أحد.. وعلى رأسهم (توم) الذي مر بجواره دون أن يُعيره أدني اهتمام.. يتمتم بغضب:

- « لو أصابه مكروه.. سأعدمكم جميعًا.. »

وصل (تورادو) للمصعد.. وبدأ في استدعائه..

ووصل (توم) للغرفة.. وأضاءها وهو يصرخ:

- « أين ذهب؟ »

أجابه الطبيب بصعوبة:

- « لقد خرج منذ دقيقة »

أشهر مسدسه.. وعاد ينظر للممرات الخارجية.. وعقله يعمل بسرعة:

- « إنه... »

وأسرع يحاول اللحاق بالشخص الوحيد الذي قابله في طريقه. توقف المصعد.. ودلف إليه (تورادو).. في اللحظة التي ظهر فيها (توم) بالأفق.. يأتي مهرولًا.

التقت الأعين في مشهد سينمائى.. والمصعد ينغلق ببطء.. ويبدأ في الهبوط..

وصل (توم) للمصعد يصرخ:

- « اللعنة.. »

ثم اندفع يقوده الغضب يهبط السلالم محاولًا اللحاق به.

عَمل الدكتور (تورادو) في هذا المبني من قبل، لذا كان يحفظ جغرافية المكان جيدًا، أوقف المصعد بالدور الثانى.. ثم أخذ يجر نفسه قاصدًا هدفًا معينًا.

كان (توم) يتابع لوحة هبوط المصعد في كل دور يمر به، حتى وجده يتوقف بالدور الثانى.

هنا عَدل أوامره لرجاله المنتشرين في المبنى.. ثم جري بعنف يستوقف أحد العاملين صارخًا:

- « أين سلم الطوارئ؟ »

أشار له الرجل في خوف.. في اللحظة التي كان فيها (تورادو) قد وصل إلى الساحة الخلفية.. ووقف يلتقط أنفاسه.

عاد بعدها للتقدم.. وبكل رغبته في الحياة رفع أسطوانة الأكسجين.. وكسر بها زجاج أول سيارة قابلته..

جلس أمام عجلة القيادة.. وشرع يحاول تشغيلها بعصبية..

تطلب الأمر منه بضع ثوان.. كانت كافية كي يصل خلالها (توم) لآخر درجة من سلم الطوارئ..

قبل أن يندفع نحو (تورادو) بجنون.. صارخًا:

- « توقف.. توقف.. »

خرج صوت موتور العربة أخيرًا.. فازداد جنون (توم).. وأخذ يطلق النار بغزارة، لكن في النهاية نجح الدكتور (تورادو) في الخروج من المكان، بعدما تأكد من نوايا رؤسائه السابقين نحوه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت لحظة هروب الدكتور (تورادو).. هي ما شاهدها (نورمان) من موقعه، بالساحة الخلفية لمبني الحجر الصحى، دون أن يعرف أنه هو.

ظهر (توم).. وأخذ يطلق الرصاص بغزارة.. فانحني (نورمان) يختبئ في دواسة سيارته بحذر، حتى مرت العربة التي تقل ذلك الشخص ذي الزي العازل من أمامه.. ثم تختفي عند أول منحنى.

توقف (توم) عن إطلاق الرصاص.. وأسرع كالصاروخ يلتف حول المبني حيث توجد سيارته.

هنا.. وجد (نورمان) نفسه يُدير موتور عربته.. ويسير في آثار سيارة الدكتور (تورادو)..

كانت سيارة الأخير حديثة. لهذا ظلت المسافة بينهما تتسع، حتى بدأت تبطئ من سرعتها فجأة.. وتتوقف أمام ذلك المول الكبير.

هبط صاحب الزي العازل منها يترنح.. محاولًا الوصول إلى الباب الأمامى.. ومن خلفه سار (نورمان) يراقبه.

قبل أن يتوقف فجأة.. ويسقط أمام (نورمان) على الأرض، بجواره أسطوانة الأكسجين الفارغة، أسرع نحوه الأخير يحاول إسعافه..

فاكتشف أنه الدكتور (تورادو)..

- « أكسجين.. أريد أكسجين.. »

تغلب (نورمان) على دهشته سريعًا.. وانطلق نحو المول، يحاول إحضار أي مصدر للأكسجين..

غاب أربع دقائق بالضبط داخل المول، قبل أن يعود لاهثًا.. حاملًا أسطوانة أكسجين صغيرة.. ويطارده رجال الأمن..

ففيما يبدو أنه قد سرقها.. لكنهم توقفوا عن مطاردته عندما شاهدوا ما يحدث، بل قاموا بمساعدته..

استعاد (تورادو) حيويته بمجرد أن تلقي جرعة أكسجين، حاول بعدها الوقوف عائدًا إلى سيارته.

ساعده (نورمان) متمتمًا:

- « اطمئن.. إنني معك.. »

فزع (تورادو) منه.. وشرع في دفعه، لكن (نورمان) استوقفه يستطرد:

- « لقد شاهدت مستر (توم).. وهو يطلق عليك الرصاص.. »

غامت الدنيا أمام عيني (تورادو).. يسأله بحيرة:

- « من أنت.. وماذا تريد منى؟ »

لكن قبل أن يُجيبه (نورمان).. سقط (تورادو) بين ذراعيه غائبًا عن الوعى، حمله (نورمان) بسرعة.. ووضعه في المقعد الخلفي لسيارته، قبل يجلس أمام عجلة القيادة.. وينطلق بسرعة.

مرت بجواره سيارة (توم) قاصدة المول، بعدما لمح الأخير سيارة (تورادو) التي سرقها.. تقف هناك..

هبط بسرعة يسأل رجال أمن المول - الذين لم ينصرفوا بعد - عن صاحب السيارة.. فأشار له أحدهم بحماس، نحو الاتجاه الذي انطلقت فيه سيارة (نورمان)..

- « ما نوعها؟ ولونها؟ »

أجابه فرد أمن آخر:

- « (تويوتا) صفراء قديمة.. »

لم يُضِع (توم) ثانية.. وانطلق في الاتجاه الذي أشار نحوه الرجل.. لكنه فجأة وجد نفسه في مفترق ثلاثة طرق.. تري أيهما سوف يتخذ؟

أوقف السيارة يضرب مقودها.. صارخًا بغيظ:

- « اللعنة.. اللعنة.. »

ثم أخذ نفَسًا عميقًا.. محاولًا الهدوء كي يفكر..

في النهاية لم يجد أمامه سبيلًا سوي العودة للمول التجارى، لسؤال رجال الأمن عن تفاصيل ما حدث، وتفريغ كاميرات المراقبة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السادسة وسبع وثلاثون دقيقة مساءً: 6:37 PM

- « لقد تم تعقيم الغرفة؟ »

كانت تلك عبارة (عمر).. والتي ارتقت لصيغة السؤال.. فأجابه الشاب المتحمس:

- « نعم.. بعد الفحص مباشرة.. تم تعقيم الغرفة تمامًا بذلك الغاز الأبيض.. »

أماء (عمر) برأسه.. ثم ألقي نظرة أخيرة على المكان، قبل أن يرافق الشاب عائدًا إلى الدور الأرضى..

حياهم المدير بشكل استعراضي عن بعد:

- « Merry Christmas.. »

لم يُعره أحد اهتمامًا.. والشاب يقوم بتوصيلهم للخارج، صافحه (عمر).. قائلًا:

- « أشكرك على تعاونك.. »

ثم أسرع يركب السيارة بصحبة (طارق)، لكن بمجرد أن انطلق بها، رن الهاتف.. كان (نورمان).. فتح الخط:

- « لن تتصور مَنْ الذي يوجد معي الآن؟ »

ضاقت عينا (عمر) يسأله:

- « مَنْ؟ »

- « دكتور (تورادو).. »

وأخذ يروي له سريعًا ما حدث آخر نصف ساعة، صمت (عمر) لحظة يفكر بتركيز.. ثم قال:

- « إلى أين تتجه الآن؟ »

- « المركز.. »

(عمر) برفض:

- « سيتوقعون هذا.. شخصيتك حتمًا تم كشفها من كاميرات المول.. »

(نورمان) بتلاحق كأن هناك مَنْ يطارده:

- « لا بد من أخذ عينة من الرجل.. والقادرة الآن على فعل هذا هي (صوفيا).. »

(عمر):

- « معك حق.. لكن كُن على حذر.. فالدكتور (تورادو) ناقل للعدوى.. »

- « كيف عرفت هذا؟ »

- « إنه مجرد استنتاج.. »

(نورمان) بلهجة استشهاد:

- « فات أوان ذلك التحذير.. »

(عمر) متوجسًا:

- « ماذا تعنى؟ »

ضحك (نورمان):

- « لا تقلق يا صديقى.. إنه يرتدي زيًّا عازلًا.. »

تنهد (عمر) قائلًا بارتياح.. وهو يزيد من سرعة السيارة:

- « حاول أن تصمد حتى أصل إليك.. »

أجابه (نورمان) بلهجة استمتاع غريبة.. لم يعهدها فيه (عمر) من قبل:

- « لا تجعلني أنتظر كثيرًا.. »

ثم أنهي الاتصال. عقد (عمر) حاجبيه يتمتم بدهشة:

- « ما الذي أصابه؟ »

لم تصل العبارة لـ (طارق).. الذي انتظر لحظة ثم سأله:

- « هل كُنت تقصد في حديثك الدكتور (تورادو جوانزالس) صاحب كتاب الطفرة.. »

نمي فوق ملامح (عمر) ابتسامة إعجاب سرعان ما تلاشت.. وهو يجيبه:

- « هل تعرفه! »

(طارق):

- « مجرد اسم فقط.. لكنني لم أقرأ كتبه.. »

عاد (عمر):

- « نعم إنه هو.. »

هز (طارق) رأسه.. يضيف:

- « يبدو أنك تعمل فعلًا في قضية كبيرة.. »

(عمر) بحيرة:

- « لا أعرف.. الأمر برمته غامض.. ولم يُحسم شىء بعد.. »

- « تستطيع أن تروي القصة.. »

- « إنها أسرار العمل.. »

(طارق) بمرح.. وهو يُلمح لما حدث في البلدية:

- « أحيانًا أكون مفيدًا على فكرة.. »

ابتسم (عمر).. يقول:

- « صدقنى.. هذا لصالحك.. »

(طارق) بسخرية:

- « التورط في المتاعب هو هوايتي المفضلة، لدرجة أنني لو بقيت بعيدًا.. قد يمثل هذا خطورة على حياتى.. »

ضحك (عمر) للمرة الثانية من قلبه هذه الليلة، يبدو أن (طارق) قد أخرج جانبًا من شخصيته لم يكن يتصور وجوده..

وعكس طبيعة (عمر).. وبعيدًا عن منطق حياته المغلقة.. وصرامته في العمل، وجد نفسه يُكسر كل شىء.. مُضيفًا:

- « حسنًا.. سأخبرك.. لكن ليبقي هذا بيننا فقط.. »

وأخذ يروي له كل التفاصيل..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

DNA - 9..

السابعة وإحدي عشرة دقيقة مساءً: 7:11 PM

وصل بعض رجال (توم) للمول التجارى.. فسادت أجواء الاستنفار الأمنى، مما جعل غالبية المتسوقين يغادرون سريعًا؛ لعدم التورط في المشاكل.

في اللحظة التي تحولت فيها غرفة مراقبة الكاميرات الأرضية إلى مكان مغلق!

وقف (توم) مع مدير أمن المول يُعيد تلك اللحظات بترقب، حتى وصل للحظة معينة، عندها قال بحزم:

- « توقف هنا.. »

ران الصمت على المكان.. والأخير يتمتم بغضب:

- « إنه مساعد ذلك الأحمق.. »

ثم التفت إلى مدير الأمن يقول بحسم:

- « أريد كل نسخ تلك التسجيلات.. »

تلجلج مدير الأمن.. قائلًا:

- « لكن هذا يتطلب إذن ... »

لم يُعطه (توم) وقتًا لإتمام عبارته.. فقد جذبه من ياقة معطفه أمام رجاله مضيفًا بلهجة تُجمد الدم بالعروق:

- « إنها قضية أمن قوى.. »

اتسعت عينا المدير في رعب.. وهو يُشير إلى رجاله بيد مرتعشة؛ كي يتم تنفيذ مطلبه. حَرره (توم).. فعاد الرجل يلتقط أنفاسه.. وهو يتحاشي النظر إلى أي أحد.

التقط (توم) القرص الصلب الداخلي (Hard Disk) الذي به التسجيلات.. ووضعه بجيبه.. ثم غادر الغرفة.

لكن أثناء ما كان يتحرك أتاه ذلك الاتصال من الحجر الصحى؛ ليعرف أن آخر طبيب قد تعامل مع الدكتور (تورادو).. وأيضًا بعض رجاله قد سقطوا بنفس الطريقة التي سبقت الجميع..

تنحي (توم) جانبًا يقول للدكتور (باز):

- « لا أريد أن تتسرب معلومة خارج الحجر.. »

(باز) بقلق:

- « المشكلة الآن ليست فيما تطلب، لقد ساد المكان هنا حالة من الرعب.. والكل يريد أن يغادر.. »

(توم) بدموية:

- « سيتم قنص أي شخص يغادر المبنى.. »

بهت (باز).. واتسعت عيناه قائلًا:

- « أنا فقط أريد أن أعرف ما الذي نتعامل معه، هل هو وباء.. أم ... »

وبتر عبارته في رعب.. بعدما شعر أنه قد تَلفظ بما قد يُمثل خطورة على حياته!

- « أم ماذا؟ »

- « لا أبدًا.. أنا لم أقصد شيئًا.. »

رَاق تراجعه لـ (توم).. فقال مُنهيًا الحوار:

- « اطمئن، نحن نعمل على هذا.. وخلال ساعات ستنتهي معاناة الجميع، لكن حتى يحدث ذلك.. آمرك بعزل المبنى.. وإعلان حالة الطوارئ القصوى، لا أحد يدخل أو يخرج.. لحين صدور أوامر أخرى.. »

أغلق (توم) الخط.. ثم أجري ذلك الاتصال بقيادته المباشرة الجنرال (توماس).. كان الأخير يلعب البلياردو.

توقف.. وفتح الخط وهو يقول بإعجاب:

- « التلميذ المجتهد (توم).. ما آخر التطورات؟ »

أخذ الأخير نفسًا عميقًا.. ثم قال:

- « ليست جيدة يا سيدى.. »

حصل على انتباهه.. وهو يستطرد:

- « الابن خرج عن السيطرة.. لقد صار يتحرك عبر الهواء.. »

ضاقت عينا (توماس).. قائلًا بتركيز:

- « كيف حدث هذا؟ إنه نموذج تجريبى.. لم يتم تنشيطه بعد! »

(توم):

- « لا أعرف.. لكن الشىء الوحيد الذي أنا متأكد منه تمامًا الآن أنه صار شرسًا.. »

صمت (توماس) لحظة.. ثم قال:

- « لا بد من احتواء الأمر سريعًا.. »

(توم) بجشع:

- « أريد المزيد من الصلاحيات.. »

« سأمنحها لك.. لكن أريد غلق ذلك الملف في الصباح.. »

(توم) بارتياح:

- « بقي شىء أخير.. »

« ما هو؟ »

« الجنرال (ويتمان).. إنه يُعيقنى.. لا بد من تنحيته قليلًا عن الصورة.. »

(توماس) بعصبية نادرًا ما تُصيبه:

- « (ويتمان) العجوز المخرف.. دعه لى.. »

انتهي الاتصال.. في اللحظة التي دلف فيها الأخير إلى (توماس) يتمتم ببرود مخيف:

- « كل يوم تؤكد أن الخطأ الوحيد الذي فعلته في حياتى.. هو أنت! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السابعة وسبعة عشرة دقيقة مساءً: 7:17 PM

دلف (نورمان) إلى الدكتورة (صوفيا).. ومساعدها المُختل (مارتن) يردد بثقة غير معهودة في لهجته:

- « أحمل إليك مفاجأة.. »

نظرت إلى الطاولة المتحركة التي يدفعها بحرص.. متسائلة باهتمام:

- « مَنْ هذا؟ »

- « الدكتور (تورادو).. حى.. »

نظرت (صوفيا) إلى (مارتن) بإثارة.. قبل أن ينتفض الأخير.. ويساعد (نورمان) في دفع وتوجيه الطاولة المتحركة؛ ليضعها بغرفة عزل داخلية.

تأملتهما (صوفيا).. قائلة بقلق:

- « كيف حدث هذا؟ »

(نورمان).. وهو يخرج من الغرفة:

- « ليس مهمًّا الآن كيف حدث، المهم أن نحصل سريعًا على عينة من الرجل قبل قدومهم.. »

- « إجابتك تعني أن هناك شيئًا ما خطأ يحدث.. »

مط (نورمان) شفتيه قائلًا ببساطة لا تتناسب مع الخطر الذي وراء كلماته:

- « لكننا من الأَخيار.. »

تنهدت (صوفيا).. وأخذت تنظر إليه في جمود لثوان.. قبل أن تلتفت للأرض قائلة بتوتر:

- « لن أعمل في مناخ غير واضح.. هذا يُفقدني التركيز.. »

وكادت تخلع البالطو الأبيض الذي ترتديه وتنسحب.. لكن (نورمان) لاحقها قائلًا بصرامة:

- « لا بد أن تعتادي على هذا الأمر هذه المرة، نحن أمام شىء غير مفهوم.. يُبشر بكارثة، أيضًا ثمة هناك فساد داخلي واضح لا بد أن نعمل على كشفه.. »

لم تَملك ردًّا.. لكن صوت (مارتن) اقتحمهما فجأة يقول:

- « هذا ما أبقي الدكتور (تورادو) على قيد الحياة حتى الآن.. »

كان (مارتن) أثناء حديثهما.. قد سحب عينة دماء من الأخير.. وصنع شريحة، احتلت صورتها شاشة المعمل الرئيسية..

حصل على اهتمام (صوفيا) و(نورمان).. وهو يستطرد:

- « هناك قاعدة أكسجين واحدة فقط باقية من الأعمدة الأربعة.. »

ضاقت عينا (نورمان) قائلًا:

- « هذا يبرر احتياجه الدائم للأكسجين.. »

دخلت (صوفيا) معهما في الحوار:

- « لكن كل الحالات الأخري ليست كذلك.. كل قواعد الأكسجين الأربعة المفروض أن تكون مُحملة على كرات الدم الحمراء غير موجودة.. ما الذي يجعل الدكتور (تورادو) مختلفًا؟ »

(نورمان) بتفكير:

- « لهذا كانوا يحتفظون به.. ولا يريدون إخراج عيناته.. »

(مارتن):

- « المشكلة الأكبر.. أن تلك القاعدة من الأكسجين، غير كافية لبقائه حيًّا، خلايا الإنسان لا تستطيع أن تعيش بهيموجلوبين (HB) (3.2)، ذلك ضد القواعد »

(صوفيا):

- « ماذا لو جربنا نقل الدماء؟ »

هنا تدخل صوت غريب عن المشهد.. ضعيف.. يقول:

- « لن يحدث فارقًا! »

انتفض (مارتن) يقول:

- « دكتور (تورادو).. شرف كبير أن أسمع صوتك أو حتى أقف أمامك.. »

جاهد الأخير.. ليقول:

- « قُم بتكبير الـ (DNA).. »

استنفر الجميع.. و(مارتن) ينفذ رغبته.. لتحتل صورة شريط الحياة الحلزوني (DNA) الخاص به شاشة العرض..

- « أريد رؤية الأطراف.. »

مرت لحظات مثيرة قبل أن تتسع عينا (تورادو) برعب.. مستطردًا:

- « لقد عبثوا به.. هذا الشىء خطير.. وسيطور نفسه! »

تبادل الجميع النظرات.. و(مارتن) يسأله:

- « مَنْ الذين عبثوا به.. وما هو الشىء خطير؟ »

استهلك الانفعال الشديد طاقة (تورادو).. فرفع يده المرتعشة يُشير لجزء من (DNA).. قائلًا بلهجة أخيرة:

- « إنه ليس كما يبدو.. »

- « ماذا تقصد؟ »

- « نيتروما.. بِلازميد.. بِلازميد.. »

ثم فجأة بدأ ينتفض.. ويتصبب عرقًا، نظر (مارتن) لقراءة معدلاته الحيوية، فوجد حرارته تقترب من الـ (42).. صرخ:

- « ثلجًا.. أريد ثلجًا.. »

اندفع (نورمان) يساعده، في اللحظة التي دلف فيها للغرفة، مدير مركز الظواهر بصحبة مستر (توم) الذي قال:

- « نشكر تعاونكم أيها السادة.. »

ثم نظر للجميع.. مردفًا بحزم:

- « منذ تلك اللحظة سنتولي نحن الأمر.. »

بقي المدير صامتًا.. و(توم) يُشير لرجاله الذين اندفعوا بأعداد كبيرة، لإخلاء الغرفة من أي عينات أو معلومات تخص القضية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السابعة وأربعة عشرة دقيقة مساءً: 7:14 PM

تصلب الجنرال (توماس).. أمام السيناتور (ويتمان).. مُحاولًا البحث عن كلمات، يستخدمها كتبرير لما قد سمعه الأخير من مكالمته لـ (توم).. لم يجد..

- « منذ متي أنت هنا؟ »

رفض (ويتمان) مساعدة أحد حارسيه له أثناء الجلوس.. قائلًا ببرود عصبى:

- « منذ البداية.. حتى الوصول إلى العجوز المخرف.. »

تأمل (توماس) حارسي (ويتمان) ضخمي الجثة - الذي لا يتحرك بدونهما - بقلق متمتمًا:

- « لقد سمعت خطأ يا عزيزى.. »

وذهب لبار صغير يُعد شرابًا.. مستطردًا:

- « ماذا تحب أن تشرب؟ »

ظل (ويتمان) يتأمله لبرهة جامدًا، حتى أحضر له كأسًا صغيرةً.. وانحني يقدمها له.. محاولًا تلطيف الموقف..

- « Merry Christmas.. »

لطم (ويتمان) الكأس من يد (توماس) ليرتطم بالأرض، قبل أن يمسكه من ياقة معطفه المنزلى.. ويدفعه للانحناء أكثر أمامه..

صوت الكسر جعل اليهودي (بنيامين) مدير المنزل، يقتحم الردهة يردد:

- « ماذا حدث؟ »

لكنه بعد رؤيته للحضور، تسمر في مكانه للحظة.. ثم انحني باحترام للسيناتور (ويتمان).. متمتمًا ووجهه يحمل ابتسامة مفتعلة:

- « Merry Christmas.. يا سيدى.. »

وعاد بخطوات سريعة لموقعه.. في اللحظة التي سأل فيها (ويتمان) (توماس) بعنف:

- « ماذا تريد؟ »

أجابه (توماس) بتحدٍّ.. وهو يحاول التملص من بين أصابع (ويتمان) دون جدوى:

- « التطوير.. الذي لم يعرفه جيلك.. »

ابتسم (ويتمان) بعصبية:

- « نحن مَنْ علمكم كل شىء.. »

(توماس):

- « نحتاج إلى عهد جديد، العالم يتحرك سريعًا.. وأنتم غارقون في الأصول والنمطية.. »

« مَنْ أعطاك حق التحدث باسم الجميع.. أنت تتحرك بشكل شاذ منفرد.. »

ظهر وجه (توماس) الحقيقى.. وهو يقول:

- « أنتم مَنْ دفعني لهذا.. برفضكم تطوير المشروع.. »

حَرره (ويتمان).. وإن ظل ينظر إليه قائلًا بتحدٍّ:

- « اندفاعك قد يكلفنا حياتنا جميعًا.. لقد أطلقت شيئًا خرج عن السيطرة.. »

تحسس (توماس) رقبته مردِدًا بإنكار:

- « كذب.. ما زالت كل الخيوط بين أصابعى.. »

نهض (ويتمان) بصعوبة.. يقول بحسم:

- « أنت مجنون.. وسأحرص على أن تكون حياتك هي ثمن فشلك.. »

لاحقه (توماس) يصرخ بانفلات:

- « أصبحت عجوزًا تتحرك ببطء.. تكرهون التغيير.. تكرهون أن يأتي أحد يثبت فشلكم.. »

لم يلتفت له (ويتمان).. وهو يغادره بصحبة رجاله، في اللحظة التي كان فيها (بنيامين) يتابع ما يحدث بتركيز.. ويجري ذلك الاتصال..

فُتح الخط.. فقال بجدية:

- « لقد خرجت الأمور عن السيطرة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

10 - الصراع..

السابعة وستة وعشرون دقيقة مساءً: 7:26 PM

التقت عينا (عمر) بـ (توم) في غضب.. والأخير يتذيل رجاله.. وهم في طريقهم للخارج، بعدما جردوا معمل الدكتورة (صوفيا) من كل شىء.

رمق (عمر) الدكتور (تورادو) بنظرة سريعة، والذي كانوا يدفعون طاولته المتحركة نحو مصعد جانبى..

ثم بعدها تأمل كل الوجوه الصامتة من حوله، قبل أن يدرك أنه قد وصل متأخرًا..

رغم ذلك تسمر أمام (توم) يقول بهدوء:

- « ماذا يحدث؟ »

أجابه الأخير ببرود عصبى:

- « نسترد بعض الأشياء التي تخصنا.. »

ثم نظر لمدير مركز الظواهر الذي أضاف بانفعال:

- « بروفيسور (عمر).. أريدك في مكتبي الآن.. »

وانصرف دون إضافة كلمة.. في اللحظة التي عاد فيها (توم) ينظر إليه مردفًا في تشفٍّ واضح:

- « بعدما تجاوز البعض حدود صلاحياته.. »

اقترب منه (عمر) يقول بتحدٍّ عصبى:

- « يبدو أنك لا تُجيد التحدث بشكل مباشر! »

ابتسم (توم) من جراء عصبيته.. وهو يرمق (طارق) - الذي وقف جانبًا - بنظرة جانبية، قبل أن يُضيف ببرود:

- « تستطيع أن تسأل مساعدك.. »

(عمر) بمزيد من العصبية:

- « (نورمان) لم يخطئ في شىء.. »

(توم) بغضب:

.

- « كُنت تعرف إذن؟ »

« أعرف ماذا؟ »

« أنه تجاوز صلاحياته.. وتستر على شخص نتولي نحن أمره.. »

ابتسم (عمر) بدوره.. قائلًا بتحدٍّ:

- « آه.. تقصد الدكتور (تورادو) الذي أعطيتنا له عينة لا تخصه.. »

ضاقت عينا (توم) في غضب شديد.. مما جعل (عمر) يستطرد باستفزاز:

- « ترى.. ما الذي تخاف منه لتلك الدرجة؟ »

(توم) ببرود عصبي لا يُبشر بخير:

- « أنا لا أعرف عما تتحدث؟ »

هنا ران الصمت بينهما للحظة.. قبل أن يضيف (عمر) بتصعيد مُتعمد:

- « أنا لا أحب الذين على شاكلتك.. مَنْ يعتقدون طيلة الوقت أنهم يحتكرون الحقيقة.. وأنهم فوق الجميع.. »

حَمل وجه (توم) ابتسامة صفراء.. قائلًا بلهجة أخيرة:

- « أنا أيضًا لا أثق في الغرباء.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من جديد السكرتيرة الحسناء فارغة العقل، لكن تلك المرة لم يُعرها (عمر) أدني اهتمام.. وهو يدلف إلى مكتب مدير المركز مباشرة..

وجد الرجل ينظر من النافذة.. فقال بجدية:

- « هل ستعفيني من القضية؟ »

أجابه المدير بهدوء.. لم يتوقعه (عمر):

- « لم يعد هناك قضية أصلًا.. »

(عمر) بعدم فهم:

- « ماذا تعني يا سيدى؟ »

المدير:

- « تم سحب.. ومحو كل المعلومات التي تخصها من كل الأماكن.. صارت القضية تخص الأمن القوى.. »

(عمر) باستنكار:

- « إنها كذلك منذ البداية.. ما الجديد في الأمر؟ »

« الجديد أنهم سيتولون التحقيق بأنفسهم، دون الاستعانة بأحد.. »

(عمر) بتفكير:

- « وهل هذا يبدو طبيعيًّا؟ »

« بالقطع لا.. »

وضاقت عينا المدير يستطرد:

- « هناك شىء غير مفهوم يحدث.. لكننا لا نستطيع التدخل.. »

« لماذا؟ »

بدا السؤال غير منطقى.. والمدير يُجيب:

- « لأنه تم إلغاء التكليف.. »

« نستطيع العمل بصفتنا البحثية.. »

« حتى تلك النقطة.. تم التشديد عليها.. بعدم التدخل! »

ارتسمت علامات الضيق والغضب فوق ملامح (عمر).. وران الصمت بينهما للحظات، قبل أن يعود المدير قائلًا بغموض:

- « لكنني لا أستطيع الوقوف أمام أي تحرك فردى.. »

أدرك (عمر) أنه يُعطيه الضوء الأخضر بالاستمرار في القضية، لكن بشكل غير رسمى!

أماء (عمر) برأسه يفكر.. والمدير يستطرد بحسم:

- « مع العلم أن المركز سيكون بعيدًا عن أي مسئولية أو نتائج لاحقة، إلا إذا كانت مزعجة بما يكفى.. وشاهدها الجميع.. »

تمتم (عمر) بجدية.. قبل أن ينصرف:

- « مفهوم يا سيدى.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (توم) بالمقعد الخلفي لعربة دفع رباعي شيفروليه أمريكية، يقرأ بعض المعلومات فوق مسودة إلكترونية مسطحة..

كان يراجع كل شىء يخص تلك الأحداث المتلاحقة التي تحدث منذ الصباح، احتلت بعض الوجوه صدارة قائمته، حتى وصل لوجه (طارق).. الذي التقطته الكاميرات بمركز الظواهر.

لم يعرف مَنْ هذا؟

قام بتفعيل برنامج بحث مخابراتي دقيق.. للتعرف على الوجوه.. فكانت النتيجة..

- « لا يوجد تطابق.. »

استفزه الأمر.. وانطلق يبحث في مسار آخر..

- « ليس أمريكيًّا.. الملامح تبدو شرق أوسطية.. »

ضاقت حلقة البحث.. حتى وجد نفسه أمام أكونت (فيس بوك) بائس.. يحمل صورة (طارق) وبعض المعلومات العادية عنه، أخذ يقرؤها (توم) قبل أن يفكر بين جوانب عقله.. متمتمًا بدهشة:

- « طبيب مصرى.. ما علاقته بالأمر.. وكيف تم السماح له بدخول المركز أصلًا؟ »

انطلق يبحث بمزيد من الاهتمام عن كيفية دخوله الولايات المتحدة.. وهل هو حامل للجنسية الأمريكية أم لا.. إلى آخر تلك الأسئلة البديهية، حتى أصبح لديه ملف صغير عن (طارق).

بعدها ابتسم في سخرية.. وأتي بصورة (عمر) لتحتل المسودة الإلكترونية.

كان (توم) من نوعية الرجال الذين لديهم شعور دائم بتضخم الذات، دون مبرر منطقي تستند عليه.. فرأسه لا تحمل علمًا أو مهارة..

وتلك كانت مشكلته منذ الصغر، فبدلًا من أن يعمل على تنمية مهاراته.. والبحث عن ذاته مبكرًا، تعجل في الظهور.. وجني الثمار!

فكانت النتيجة الكثير من عقد النقص التي احتلت داخله..

صار يحقق وجوده بالصراع مع الآخرين.. ولا يقبل الإهانة بسهولة، فالكل لا بد أن يخضع.. ويقدره.. حتى ولو مُرغمًا!

لهذا كان دائم البحث عن السلطة والقوة.. ولهذا أيضًا كانت كل صراعاته في النهاية تأخذ مسارًا شخصيًّا انتقاميًّا.

وما فعله (عمر) معه بالمركز منذ قليل، أيقظ ذلك الإحساس داخله بشده.

نظر إلى صورة (عمر) يقول بمتعة مرضية:

- « حثالة العالم الثالث.. سألقنك درس عمرك الأخير.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السابعة وستة وأربعون دقيقة مساءً: 7:46 PM

راح الدكتور (باز) يراجع كل تلك العينات للمرة المائة تحت المجهر دون جدوى، مسح عرقه.. وعاد يرتدي نظارته الثقيلة بإرهاق.. مرددًا:

- « متي ينتهي ذلك الكابوس؟ »

ولم يكد ينهي عبارته، حتى اقتحم عليه الغرفة أحد رجاله يردد بفزع:

- « ظهرت حالة أخرى.. »

اتسعت عينا (باز).. متسائلًا:

- « أين؟ »

« الدور الأخير.. »

أسرع نحو المصعد برفقة الرجل.. وهو يعطي بعض الأوامر الصارمة للجميع.

وصل المصعد للدور الأخير في دقيقتين.. وفتح ببطء، ليجد فرد أمن قد تحول إلى اللون الأزرق.. وطبيبًا يرتدي زيًّا عازلًا يحاول مساعدته.

لم يكن مسموحًا لأي فرد بالهبوط، رغم ذلك اندفع نحو المصعد بعض الأطباء والممرضين والعاملين.. في محاولة منهم للهروب من ذلك الجحيم.

لكن التواجد الأمني منعهم بعنف.. مما جعل تلك الصرخات تشرع في الانطلاق..

عدل الدكتور (باز) نظارته بيد مرتعشة.. وهو يتابع ما يحدث خلف ذلك الحاجز الزجاجي بتركيز.

كان فرد الأمن يجاهد لالتقاط أنفاسه.. لكن فجأة سقط شخص آخر قريب.. ثم آخر.. وآخر!

حتى تحولت القاعة إلى مأساة!

نظر (باز) إلى الرجل الذي كان بجواره بذهول.. وكذلك رجال الأمن، الذين ازدادوا تحفزًا.. وهم يتراجعون إلى الخلف..

حاول الطبيب الذي كان يرتدي الزي العازل الهرب، لكن الباب كان موصدًا من الخارج.

ولم تكد عيناه تقعان على الدكتور (باز) حتى مد يده إليه.. وهو يصرخ باسمه في استغاثة..

نظر للدكتور (باز) عبر الحاجز الزجاجي المصفح، وأخذ يطرق عليه في غضب كي يفتح له، لكن الأخير بقي صامتًا دون حراك.. وقد بدت على وجهه علامات العذاب الشديدة.

عندئذ تعلق بقدم الطبيب حالة تُجاهد كي تحصل على الهواء، كان هدفها محتوي الأكسجين الذي يوجد فوق ظهر الطبيب.

قاومه الطبيب بشدة.. لكن يد الحالة استماتت على أسطوانة الأكسجين، حتى انتزعها.. وتمزق الزي العازل.

حاول الطبيب كتم أنفاسه، واستعادة الأسطوانة.. لكن مريضًا آخر دخل الصراع.. وهجم عليه.

وبعد عراك محدود.. اضطر الطبيب - رغمًا عنه - لأن يأخذ أول شهقة أكسجين، من هواء الغرفة الملوث..

اتسعت عينا الدكتور (باز) عن آخرهما في مزيد من العذاب.. وهو يحدق عبر زجاج العزل إلى طبيبه، الذي خلع بقايا ثيابه الواقية بإرادته.. واقترب ليتسمر أمامه ناظرا له في غضب..

حملت عينا الطبيب تلك النظرة الغريبة.. متمتمًا:

- « ستدفعون الثمن! »

وانطلق يحاول كسر زجاج أحد النوافذ المطلة على الشارع، اتسعت عينا الدكتور (باز) صارخًا برعب:

- « لا.. حاولوا منعه.. »

ساد الارتباك الجميع.. وانطلق (باز) يرتدي زيًّا عازلًا مع رجله، قبل أن يتعلق بصره برجال الأمن.. وهم يأخذون استعداداتهم لاقتحام الغرفة.

كانت لحظات فاصلة.. لم يضع الطبيب منها ثانية!

فقد أخذ بكل ما أُوتي من قوة، يحاول تحطيم زجاج تلك النافذة، بضربات متتالية، حتى بدأ الزجاج في التصدع..

وقف يلتقط أنفاسه.. وينظر لـ (باز) بشماتة..

- « لا يا بنى.. »

ابتسم الطبيب في جنون هستيرى.. ورفع ذلك الكرسي المعدني بباقي قوته.. ودفعه دفعة أخيرة نحو النافذة.. فتحطمت.

دخل الهواء البارد الغرفة، في اللحظة التي بدأت فيها تضيق أنفاسه.. ورجال الأمن يقتحمون الغرفة..

جحظت عينا الطبيب، لكنه قاوم.. وأخذ يجر جثة أقرب ضحية له.. محاولًا إلقاءها من النافذة.. صرخ (باز):

- « لا تفعل.. »

وصل له رجال الأمن.. لكن بعدما حقق انتقامه.. ووصل بالجثة إلى حافة النافذة.. فلم يجدوا أمامهم وسيلة لإيقافه سوي إطلاق النار..

أصابت جسده العديد من الرصاصات..

لكن الجثة سقطت من النافذة.. وسقط هو خلفها.. لتأخذ الأحداث مسارًا مختلفًا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

11 - خيانـــة..

السابعة وتسع وثلاثون دقيقة مساءً: 7:39 PM

أدرك (عمر) أنه منذ تلك اللحظة صار وحيدًا، فهل يُكمل بحثه في الأمر؟ أم يُغلق الملف ويعود لبيته مثلما يفعل كل يوم؟

والسؤال الأهم.. هل لو قرر الاستمرار.. سيقوي على هذا؟

فكل دقيقة تتطور الأمور.. وتأخذ الأحداث مسارًا أكثر اتساعًا..

ازدحمت في رأسه، كل تلك الأفكار.. والمصعد يهبط ليقف بالدور الذي ترك فيه (طارق) بصحبة (نورمان).

انفتح المصعد ليجد (طارق) قد تعرف على الجميع.. وانسجم معهم، كأن كل سكان حوض البحر الأبيض المتوسط يوجد بينهم شىء ما مشترك، يدفع للألفة..

و(نورمان) و(صوفيا) و(مارتن) إيطاليو الأصل.

تقدم نحوه (نورمان) يسأله بلهفة:

- « ما الذي حدث؟ »

صمت (عمر) والجميع يتأمله.. قبل أن تُضيف (صوفيا):

- « وجهك لا يبشر بخير.. »

اقترب منهم (عمر) يقول بحسم:

- « تم إلغاء دورنا البحثى.. »

(مارتن) بغضب:

- « ليس من حقهم.. »

ارتسمت علامات خيبة الأمل فوق وجوههم.. قبل أن يهمس (عمر):

- « بشكل رسمي فقط.. »

ضاقت عينا (صوفيا).. متسائلة:

- « ماذا تعنى؟ »

تطلع (عمر) لوجوههم جميعًا.. وهو يقول:

- « لن يقف أمام أي محاولة للبحث عن حقيقة ما يحدث.. »

ضاقت عينا (مارتن) متسائلًا:

- « هل سيسمح باستخدام إمكانيات الجهاز؟ »

« لا..»

(نورمان) بإحباط:

- « إنه هكذا يلقي بنا وسط المحيط دون قارب نجاة.. »

صمت (عمر) لحظة.. ثم قال بحسم:

- « هذا ما قاله لي نصًّا. لم يعد هناك مهمة، ولم يعد هناك تكليف بالبحث.. ومن يريد منكم العودة إلى بيته.. يستطيع أن يفعل ذلك الآن.. »

ران الصمت بينهم للحظة.. قبل أن يسأله (نورمان):

- « وأنت ماذا ستفعل؟ »

تطلعت الوجوه لـ (عمر) في ترقب.. فوجد نفسه يقول:

- « سأستمر حتى النهاية.. »

انتاب الحماس (نورمان) قائلًا:

- « وأنا معك.. »

رفع (مارتن) يده.. يضيف:

- « أنا أيضًا.. »

انتقلت كل الوجوه تنظر لـ (صوفيا) بشكل تلقائى.. والتي قالت بعقلانية شديدة:

- « حسنًا.. أنا أقدر حماسكم جميعًا.. لكن هناك سؤال مهم لا بد من إجابته.. »

وصمتت لحظة.. ثم أضافت:

- « أين سنعمل؟ والأهم أنه لم يعد لدينا معلومة أو حتى عينة واحدة نبدأ بها.. »

بدا ذلك منطقيًّا.. فعاد الإحباط يغلف الوجوه، قبل أن يتدخل (مارتن) رافعًا يده بشكل كوميدى.. قائلًا:

- « أنا عندي المكان.. »

نظروا إليه.. وهو يُضيف:

- « معمل صغير في بدروم بيتى.. »

عدلت (صوفيا) النظارة.. تسأله:

- « والمعلومات.. والعينات.. لقد تم التحفظ على كل شىء.. »

تلفت (مارتن) حوله.. قبل أن يقترب منهم هامسًا بإثارة:

- « كل معلومات البحث موجودة.. »

(عمر):

- « أين؟ »

(مارتن) ببساطة:

- « على الإنترنت.. »

وازدرد لعابه مردفًا:

- « فمن عاداتي أنني أحتفظ دائمًا بنسخة احتياطية، لأي معلومات بحثية - أعمل عليها - على موقعي الخاص.. »

(نورمان) بحماس يتعارض مع ما كان عليه من تذمر في بداية تكليفه بالمهمة:

- « عظيم.. »

وضع (عمر) يده على كتف (مارتن) يقول بجدية شديدة:

- « هل تُقدر ما قد يجلبه عليك ذلك؟ »

ارتبك (مارتن) بشكل كوميدى.. مُجيبًا:

- « نعم.. لكنني لا أستطيع التوقف.. »

تنحنحت (صوفيا).. تضيف:

- « في تلك الحالة.. لن أجد متعة كبيرة في بقائي بالمنزل هذه الليلة.. »

كان هذا يعني موافقة (صوفيا) على الانضمام لهما..

هنا ابتسم (طارق) الذي بقي صامتًا طيلة الوقت، قائلًا بلهجة مرح اختلطت بالسخرية.. كي يكسر حدة هذا الموقف:

- « هل أستطيع أن آتي معكم.. أعدكم أن أبقي صامتًا.. »

ابتسمت (صوفيا) رغمًا عنها.. و(عمر) يشرع في تقديمه لهم، لكن (نورمان) قاطعه مرددًا:

- « لقد تخطينا تلك المرحلة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثامنة وثلاث دقائق مساءً: PM 8:03

انتشرت وحدات عسكرية مكثفة، بأعداد كبيرة.. تقوم بتطويق مبني الحجر الصحي في دائرة قطرها خمسة كيلومترات..

لم يكن يُسمح بدخول أو خروج أي شخص من تلك المنطقة مهما كانت الأسباب، الكل كان علية الالتزام بالبقاء في بيته.. وغلق الأبواب.

تلك كانت الأوامر الصارمة.. والتي لا بد أن ينفذها الجميع دون نقاش..

أيضًا انقطعت كل وسائل الاتصالات والإنترنت عن المكان! ولم يكن مسموحًا سوي بالكهرباء.

كان يتم إحراق الجثث في محرقة خاصة بجوار مركز العزل..

أما مَنْ كان يظل حيًّا من الضحايا.. فقد كان يوضع على أكسجين دائم.. داخل ذلك المستشفي الميداني الكبير.. والذي بدأ تركيبه منذ عشر دقائق.

وقف (توم) على مقربة من المكان يرتدي ذلك الزي العازل، يراقب كل شىء يدور حوله ببرود وثبات يُحسد عليه!

كانت أوامره صارمة.. وواضحة في هذا الشأن، فمن يحاول اختراق القواعد.. يتم تصفيته فورًا.

قال الدكتور (باز) بلهجة جمعت بين الانهيار ومشارف الجنون، وهو يتأمل كل ذلك الكم من الحالات:

- « هذا الأمر لو تسرب خارج تلك الحدود.. لا أحد يعلم ماذا ستكون النتائج.. »

(توم) بغضب:

- « أنت مَنْ سمح بهذا.. »

لم يدافع (باز) عن نفسه.. مرددًا بإرهاق شمل كل خلايا جسده وروحه:

- « ليست تلك هي المشكلة الآن يا سيدى.. المشكلة الحقيقة أننا لا نعرف شيئًا عما نواجهه! نحن نعمل في الظلام.. والكل صار عالقًا هنا، فلا أحد يستطيع الرحيل، أو حتى من حقه فهم لماذا يموت ».

كان (توم) يعرف بداية أعراض انهيار الرجال.. والدكتور (باز) رجل عجوز مدنى، لم يعتد تلك النوعية من الصراعات الطويلة.. أو المناخ العسكرى، لذا كان لا بد من إبداء بعض اللين.. كي لا يسقط الرجل.

تراجع (توم) قائلًا:

- « اطمئن.. هناك فريق بحثي على أعلى مستوي يعمل على هذا الآن.. »

الدكتور (باز) في شك:

- « حقًّا.. »

وضع (توم) يده على كتف (باز).. قائلًا بمزيد من الثقة:

- « ليس هذا فقط.. بل بصدد حل الأمر تمامًا، كل ما يحتاجونه هو بضع ساعات ليس أكثر.. »

كان (باز) يحتاج - فعلًا - لتلك الكلمات حتى ولو كانت كاذبة.. فقد تحسنت حالته كثيرًا.. وأحد الأطباء المساعدين يقتحمهم.. مرددًا:

- « هناك حمي مجهولة المصدر بدأت تصيب الحالات.. »

عقد (باز) حاجبية يفكر:

- « هذا لم يكن موجودًا من قبل.. »

الطبيب:

- « المشكلة أنها لا تستجيب لكل أنواع العقاقير التي لدينا.. »

(باز) بحيرة:

- « استخدموا صدمات الثلج.. مع جرعات مضاعفة من خوافض الحرارة.. »

بدت الفكرة - البديهية - جيدة للطبيب.. فأسرع لتطبيقها، في اللحظة التي رن فيها هاتف (توم)..

ابتعد عدة خطوات ليجيب، كان الجنرال (توماس).. يقول بعصبية:

- « أريدك هنا فورًا.. »

« ماذا حدث؟ »

« لن يصلح هذا عبر الهاتف.. »

أغلق (توم) الخط.. وأسرع يعطي بعض الأوامر الصارمة لرجالة.. ويشير لـ (باز) في ثقة.. وهو يتحرك نحو هليكوبتر حربية قريبة متمتمًا بصوت عالٍ:

- « أنا أعتمد عليك.. »

لم يملك (باز) سوي أن يبادله إشارة الثقة.. والهليكوبتر ترتفع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثامنة وتسع وعشرون دقيقة مساءً: 8:29 PM

وقف قائد أحد أفرع القوات المسلحة الأمريكية، بجوار الجنرال (توماس).. وفريق من العلماء.. وسط قاعة علمية كبيرة، تابعة للبنتاجون..

قال القائد بقلق:

- « ما هي النتائج الأولية؟ »

تأمل (توماس).. جسد (تورادو) القابع أمامه بغرفة زجاجية خاصة.. وقد التف حوله العديد من العلماء.. وفريق بحثي على أعلى مستوى، قبل أن يقول بجمود لم يخلُ من القلق:

- « سنعرف كل شىء الآن.. »

ولم يكد ينهي عبارته حتى انضم لهم (توم).. فهمس (توماس) في أذنه:

- « أتيت في الوقت المناسب.. »

ففي تلك اللحظة كان كبير العلماء.. وقائد فريق البحث قد دلف إليهم داخل تلك الغرفة الخاصة.. وأخذ ينظر إلى وجوههم قائلًا بحدة وعصبية:

- « أيها السادة.. يؤسفني أن أبلغكم أن الفيروس الذي تم استخلاصه من جسد الدكتور (تورادو) يتطابق تمامًا مع نفس النموذج التجريبي الذي لدينا! »

ران الصمت على الوجوه لثوان.. قبل أن يسأله (توماس):

- « هل نستطيع مواجهته؟ »

كبير العلماء في حدة:

- « هناك سؤال آخر أكثر أهمية يا سيدى، لا بد من إجابته أولًا.. وهو كيف خرج النموذج من المعمل؟ »

تدخل القائد يقول بحسم:

- « حتمًا سيكون هناك تحقيق صارم في الأمر، لكننا الآن نواجه كارثة في الخارج لا بد من احتوائها سريعًا.. »

ضغط كبير العلماء على زر أمامه لتظهر صورة لفيروس خيطي الشكل ساكن، قبل أن يُشير إليه قائلًا في توضيح:

- « هذا هو النموذج الذي نعمل عليه منذ ستة أشهر.. وقد أشرف على صناعته الدكتور (تورادو) لأغراض أبحاث الفضاء.. »

وصمت برهة.. وهو يضغط على نفس الزر، لتظهر بجواره صورة أخري لفيروس، يتطابق تمامًا مع صورة الفيروس الأول..

- « وهذا ما نواجهه الآن، نفس التطابق في كل شىء، باستثناء تلك النهاية.. والتي لا أعرف كيف التحمت به؟ »

وأشار نحو الشاشة.. يستطرد بحسم:

- « تلك الأطراف البروتينية الحرة هي التي تقود هذا الفيروس الجديد.. والتي أكسبته كل شراسته.. »

تدخل (توم) يسأله ببرود لا يتناغم مع الجدية والتوتر الذي يسود المكان:

- « هل نستطيع صناعة مصل له؟ »

مط كبير العلماء شفتيه في استياء من السؤال.. مجيبًا:

- « تلك خطوة بديهية.. نعمل عليها الآن بكل طاقتنا.. لكن مع الأسف كل المحاولات الأولية باءت بالفشل.. »

ضاقت عينا (توماس) وهو يقول بنفس التوتر.. مُشيرًا بسبابته نحو الشاشة:

- « لماذا لا يكون هذا الفيروس هو الجيل الثاني من الفيروس الأول؟ هذا سلوك كل الفيروسات عامة.. »

كبير العلماء:

- « مستحيل.. »

وأشار إلى الفيروس الثاني مستطردًا:

- « فهذا الفيروس ليس نتيجة لذلك الأول.. »

« لماذا؟ »

« التطور.. أو الجيل الثاني لأي فيروس يُنتج نفس الفصيل.. لكن هذا الفيروس جديد ومختلف تمامًا!! »

« من أين أتي إذن؟ »

كبير العلماء:

- « هذا السؤال عليكم أنتم الإجابة عنه سريعًا.. »

لم ينبس (توماس) ببنت شفة.. وازدادت حيرة وتوتر القائد العسكرى.. في حين عاد (توم) يقول:

- « والطفرة؟ »

مرة أخري يصيب كبير العلماء الاستياء من سطحية وبديهية السؤال، لكنه رغم ذلك قال باهتمام رافضًا للفكرة:

- « الطفرة تحتاج إلى وقت.. وظروف مناخية وبيئية مختلفة لإحداثها، وهذا بعيد عن حالتنا هنا.. »

واعتدل يضيف بحسم:

- « أيها السادة.. نحن أمام فيروس - تخليقي - جديد تمامًا على البشرية، خرج للشارع، بعدما تم صناعته من نموذج كان في حوزتنا! هذه جريمة.. يجب أن تعرف بها القيادة العامة فورًا.. »

امتقع وجه (توماس) حتى كاد يحاكي وجوه الموتى.. وتبادل الجميع النظرات الغامضة.. قبل أن يقول بحذر:

- « أري أنه لا داعي لزيادة حالة الفزع، لنتولي نحن الأمر.. ونعمل على احتوائه سريعًا.. »

أيده القائد العسكرى.. مضيفًا:

- « أنا مع هذا الرأى.. وسأمنحك كل التسهيلات والاعتمادات اللازمة، الميزانية مفتوحة أمامك لفعل كل شىء تريده.. ابذل أقصي جهد.. »

انعقد حاجبا كبير العلماء في شدة.. قبل أن يقول برفض:

- « وماذا لو فشلنا.. مَنْ سيتحمل المسئولية؟ »

وأشار للفيروس وهو يضيف بحدة:

- « تلك كارثة بيولوجية.. تحتاج لإمكانيات وقدرات الدولة كاملة للسيطرة عليها.. »

لثانية أو ثانيتين ظل كبير العلماء ينظر لهم في صمت.. كأنه ينتظر رد فعلهم، و(توماس) عقله يرتجف مما يدور في أعماقه من اقتراحات لأفكار مخيفة!

مما دفعه في النهاية لأن يتخلي عن حذره.. ويومئ بسبابته لـ (توم) بإشارة ما.. فنهض الأخير يقترب من العالم.. متمتمًا ببرود:

- « هذا يعني أنك مصمم على تبليغ القيادة العامة.. »

شعر العالم داخله بالخوف.. لكن رغم ذلك أجابه بحسم:

- « نعم.. »

حينئذ نظر (توم) لـ (توماس) بطريقة معينة.. كأنه ينتظر تأكيدً لذلك القرار الذي طلبه منه منذ قليل بإشارته!

فأماء الأخير برأسه في توتر.. ثم نحي نظره..

أخرج (توم) مسدسًا كبيرًا كاتمًا للصوت، ووجهه نحو رأس كبير العلماء.. والذي اتسعت عيناه عن آخرهما في ذهول، مرددًا:

- « ماذا ستفعل؟ »

(توم) ببرود تام.. لم يخلُ من المتعة:

- « أعفيك من المسؤولية.. »

حاول العالم الهرب، أو إحداث أي ضجة، لكن حركته بدت بطيئة أمام سرعة (توم).. الذي أطلق نحو رأسه رصاصتين صامتتين..

سقط العالم في منتصف الغرفة تحت أقدامهم.. والقائد يهبُّ واقفًا، يقول بعصبية:

- « لم يكن هناك داع لهذا.. كان من الممكن التحفظ عليه.. »

أعاد (توم) مسدسه لحزامه.. وهو ينظر لـ (توماس) الذي نهض قائلًا بحدة:

- « هل كنت تستطيع ضمان صمته.. »

القائد:

- « كان من الممكن فعل أي شىء إلا ما فعلت الآن، الوضع يزداد سوءًا.. »

قال (توماس).. وهو ينظر لصورة الفيروس الثاني بحيرة:

- « صدقنى.. نحن لم نطلق هذا الوحش.. كل الذي فعلناه أننا أردنا اختبار فاعلية النموذج الأول - بعد اكتماله - على نطاق ضيق، كسلاح بيولوجي جديد، لكن كل ما حدث لاحقًا كان مفاجأة لنا! »

القائد بمزيد من العصبية.. وهو ينقل نظراته بينهما:

- « ما الذي يحدث إذن؟ »

بدت علامات التفكير العميق على (توماس).. وهو ينظر لـ (تورادو).. متمتمًا:

- « الوحيد القادر على إجابة ذلك السؤال هو الصانع.. »

نقل القائد نظراته لـ (تورادو).. قائلًا:

- « هل مازال عندك أمل أن يتعاون معنا بعد كل ما حدث؟ بل هل عندك أمل أن ينجو أصلًا؟ »

(توماس) بغموض:

- « من أجل هذا أقول لك إن الإجابة عند الصانع، فـ (تورادو) مُجبر على إيجاد تفسير لإنقاذ نفسه.. المهم أن يفيق أولًا.. ولحين ذلك لا بد أن نسيطر على الوضع تمامًا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

12 - غوستاف..

السابعة وتسعة وخمسون دقيقة مساءً: 7:59 PM

- « ما الذي يحدث في (فلوريدا)؟ »

بدر ذلك السؤال في حدة مباشرة، من مدير جهاز الأمن القومي الداخلي (FBI)، لنائبه.. الذي أجاب في توتر:

- « ذلك المدعو (توم) لا يسمح لأحد بالاقتراب.. »

المدير ببرود ساخر:

- « يبدو أنك تعودت على الانسحاب أمامه؟ »

كانت العبارة مستفزة.. فقال النائب بعصبية:

- « لقد أرسلت مُحققين، لكنهم لم يحصلوا على شىء.. »

ربت المدير فوق المكتب بغضب.. قائلًا:

- « ليس كافيًا.. أريد أن أعرف ما الذي يحدث.. وإلا لما استحقينا التواجد هنا.. »

النائب مدافعًا عن نفسه:

- « الأمن القومي صار يتولي الأمر، وأخطرنا بشكل رسمي أن تعدد الجهات المشاركة في التحقيق قد يضر بالنتائج.. »

المدير باستنكار:

- « نحن جزء من الأمن القومى، أنا أعرفهم جيدًا.. يريدون الاستحواذ على كل شىء، لا بد أن نكون في الصورة رغمًا عنهم.. »

وصمت لحظة.. قبل أن يشير بيده مستطردًا:

- « أين ذلك المُحقق الذي استطاع هزيمة (توم) سابقًا؟ »

تملك الضيق من النائب.. قائلًا:

- « (غوستاف).. »

ضاقت عينا المدير، محاولًا التذكر:

- « أليس هذا هو المُحقق الذي كان مسئولًا عن أزمة الرهائن الأخيرة؟ »

- « نعم.. وأدي إلى تفجير المبنى! »

المدير بإعجاب:

- « لكنه في النهاية فض الاشتباك دون خسائر في الأرواح.. قُم باستدعائه فورًا.. »

النائب بحدة:

- « إنه في إجازة جبرية.. ويخضع للتحقيقات.. »

- « لماذا؟ »

- « لأنه مُنفلت.. ولا يُطيع الأوامر.. وعودته للعمل في هذا التوقيت، وبتلك الصورة، سيجعله يتمادي أكثر، ويصبح خارج حدود السيطرة.. »

بدت علامات التفكير على وجه المدير، قبل أن يقول بحسم:

- « هناك أولويات للضرورة، هذا المُحقق هو الوحيد الآن وسط رجالك الذي لديه خبرة سابقة في التعامل مع (توم).. بل وهزمه أيضًا، وكل ما ذكرته عنه منذ قليل، ليست تُهمًا حقيقية تستدعي التعنت. هو فقط مجرد شخص غير قابل للترويض، أنصحك أن تبحث له سريعًا عن أي خط رجعة.. وتدفعه للشارع.. »

« لكن يا سيدى... »

قاطعة المدير بحزم:

- « الوقت ليس في صالحنا، وفي تلك اللحظة نحن في احتياج لتلك النوعية مِنْ المُحققين.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثامنة وتسع عشرة دقيقة مساءً: 8:19 PM

جلس ذلك الرجل قوي البنية وحيدًا، أمام بار طويل يتناول كوبًا كبيرًا من الجعة، قبل أن تقترب منه فتاة شقراء.. قائلة:

- « تستطيع أن تقدم لي شَراب؟ »

أجابها الرجل ببرود، دون أن يلتفت إليها:

- « ربما في وقت لاحق.. »

تغيرت نبرة صوت الفتاة للعصبية.. ففيما يبدو أنها لم تكن مُعتادة على الرفض..

- « يبدو أنك مغرور.. »

الرجل بنفس البرود:

- « لماذا تقولين هذا؟ »

« لأنك لم تُكلف نفسك حتى النظر إلى.. ألا تعرف من أنا؟ »

تحول برود الرجل إلى استمتاع.. متمتمًا:

- « لا أعرف مَنْ أنت.. ولا أريد أن أعرف.. »

تسارعت أنفاس الفتاة بشكل عصبى، قبل أن تنصرف.. وهي تُشير بيدها تجاه طاولة قريبة، يجلس أمامها مجموعة من الرجال، بدا من مظهرهم.. وأسلوب تحركهم أنهم ينتمون للمكان.

جلس بجوار الرجل ببطء، اثنان من الثيران البشرية.. وأحدهما يردد:

- « لقد أغضبت (لوسى).. »

نهض الرجل يحمل كوب الجعة.. ويبتعد، لكن الثور الثانى، استوقفه مرددًا باستفزاز:

- « غير مسموح لك بالانصراف.. »

توترت الأجواء.. وبدأ البعض يبتعد.. والبعض ينصرف.. قبل أن يمط الرجل شفتيه قائلًا بلامبالاة:

- « ومن أخبرك أنني سوف أنصرف.. قبل تحطيم أنفك.. »

وفي جزء من الثانية، كان كوب الجعة يرتطم بوجهه..

صرخت (لوسى).. والثور الأول يحاول توجيه لكمة للرجل.. الذي تفاداها بسهولة، ثم قبض على ياقة معطفه.. وجره ليمسح به رخام البار..

ازدادت الصرخات.. قبل أن ينهض بقية الرجال الذين كانوا يجلسون أمام الطاولة، للحفاظ على سمعتهم..

لكن فجأة.. اقتحم بعض رجال الـ (FBI) المكان.. فتجمد المشهد.. قبل أن يتنهد الرجل مرددًا بأسف:

- « كنت أحتاج المزيد من الوقت.. »

تنهد أحدهم.. واقترب منه يتأمل الفوضي التي أحدثها بالمكان.. قائلًا باستنكار:

- « ماذا تفعل؟ »

الرجل ببرود:

- « أحتفل برأس السنة؟ »

اقترب منه رجل الـ (FBI) أكثر يضيف:

- « الإدارة تطلبك.. »

ران الصمت بينهما للحظة.. وكل منهما ينظر إلى الآخر في جمود.. قبل أن يُدير الرجل ظهره للجميع، عائدا ليجلس أمام البار.. قائلًا بتذمر:

- « ليس اليوم.. »

وضع عامل البار أمامه كوب جعة آخر، قبل أن يلاحقه رجل الـ (FBI)، قائلًا في إحراج:

- « في جيبي يستقر استدعاء من مدير الجهاز شخصيًّا.. يريد عودتك للعمل.. »

مسك الرجل كوب الجعة.. مرددًا بسخرية:

- « كيف وأنا رجل أخضع للتحقيقات؟ »

رجل الـ (FBI) بنفاذ صبر:

- « لقد تم حفظها جميعًا.. »

توقف (غوستاف) عن شرب الجعة، واستدار ينظر لعيني الرجل.. ثم كل العيون من حوله.. قائلًا بدهشة ساخرة:

- « غريبة.. منذ متي تمارسون هذا التهذيب معى؟ »

اقترب منه الرجل يقول بحسم:

- « الأمر خطير.. ولا يحتمل التأجيل! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثامنة وتسع وثلاثون دقيقة مساءً: 8:39 PM

- « يجب أن تعرف أن عودتك للعمل.. تَمت رغم إرادتى.. »

قالها نائب مدير جهاز الـ (FBI) في وجه المحقق (غوستاف) بحدة شديدة.. بعدما استقبله في مكتبه.

انتظر الأخير حتى أفرغ كل انفعالاته.. ثم نهض يشرع في مغادرة المكتب، مرددًا ببساطة:

- « وأنا لا أحب إرغامك على شىء.. »

وكاد يصل إلى باب الغرفة.. فاستوقفه المدير صارخًا:

- « إلى أين؟ »

(غوستاف) باستمتاع.. دون أن يستدير:

- « أشعر أنك لا تريد التعاون.. »

المدير في تراجع:

- « اجلس.. »

كانت لهجة الكلمة تحمل الكثير من معاني الاسترضاء غير المباشرة، والتي تقبلها (غوستاف) في رضا.. وعاد للجلوس.

ران بينهما الصمت لبرهة.. قبل أن تضيق عينا المدير، مستطردًا بهدوء حاد:

- « هناك أمر يحتاج إلى تحرك سريع.. ودقيق في ذات الوقت، بما يعني أنه لن تصلح طُرقك التقليدية العنيفة هذه المرة.. »

شعر (غوستاف) بتوتره الشديد، والذي لم يره عليه من قبل.. مما جعله يفضل الصمت.. ويكتفي بإيماءة من رأسه..

والمدير يعتدل.. ويُخبره بكل المعلومات المتاحة.. والتي ستكون سببًا مباشرًا في تفجير الموقف أكثر في الساعات القادمة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الاستبداد!

نوع من المرض النفسي يُصيب الضعفاء من حاملي السلطة، يبذل فيه المُستبد قصاري جهده لتحقيق رؤيته.. والتي غالبًا ما تكون محدودة الأفق.

فهو لا يسمح لأي شىء بالوقوف أمام رغبته، لأنه يُصاب بالعمى.. أو إنكار الحقائق!

لذلك تجده على استعداد دائم، لارتكاب أي تجاوز للوصول إلى هدفه، حتى ولو مارس القتل!

- « لا مزيد من الجثث اليوم.. »

كانت تلك عبارة (توماس) لكلبه الوفي (توم).. الذي يُشبهه كثيرًا في مرحلة سابقة من حياته، ولعل هذا سبب ارتباطه به أو رعايته..

فالمستبد كالمدخن.. لا يحب أن يمارس فعلته وحيدًا..

اكتفي الأخير بإيماءة.. ورافقه حتى صعد إلى مروحية حربية، برفقة القائد العسكرى، وظل واقفًا حتى ابتعدت بالأفق..

رن هاتفه.. كان أحد رجاله.. فتح الخط يقول بصرامة:

- « ما النتائج؟ »

أجابه الرجل ببرود.. وهو يُنزل عن عينيه منظارًا مُقربًا للرؤية الليلية:

- « لم يفترقوا.. »

ضاقت عينا (توم) في غضب.. قائلًا:

- « لا أريدك أن تفقد أثرهم.. أريد أن أعرف ما ينون فعله.. »

عاد الرجل يرفع منظار الرؤية أمام عينيه.. مرددًا:

- « هناك شىء آخر لا بد أن تعرفه.. »

« ما هو؟ »

« الـ (FBI).. تجاهلوا إخطارنا الرسمي بعدم التدخل.. وقرروا الاستمرار في التحقيق.. »

وتردد الرجل لحظة.. قبل يستطرد:

- « كلفوا (غوستاف) بالأمر.. »

ارتعشت شفاه (توم) بشدة، بمجرد سماع الاسم.. وتضاعف الغضب داخله لأقصي درجة.. وهو يغلق خط الاتصال بعنف.. متمتمًا:

- « أتي لمصيره.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

13 - انهـــيار..

الثامنة وأربعون دقيقة مساءً: 8:40 PM

برق.. رعد.. أمطار غزيرة.. هكذا هو الحال في مدينة (تامبا).. فجأة قد تجد كل هذا أمامك، شَغل (عمر) مسَّاحات سيارته الأمامية، وهو ينظر إلى المرآة الجانبية له بشكل دائم كل عدة ثوان.

لاحظ (طارق) ذلك - الجالس بجواره في المقعد الأمامي - قائلًا بهدوء:

- « هناك مَنْ يراقبنا منذ أن تحركنا من المركز.. »

بدا (عمر) كأنه لم يسمع عبارته.. قبل أن يتمتم:

- « فعلًا.. »

استدار (نورمان) من الزجاج الخلفى.. مردِدًا بقلق:

- « مَنْ هؤلاء؟ »

نظر (طارق) لـ (عمر).. قائلًا بحذر:

- « غالبًا رجال (توم).. »

أماء (عمر) برأسه يؤكد الأمر..

- « يريدون التأكد أننا قد تركنا الأمر.. »

(صوفيا) بقلق:

- « هذا يعني أننا لا بد أن نفترق.. تجمعنا هذا سيؤكد الفكرة لديهم.. »

فكر (عمر) قليلًا.. ثم قال:

- « معك حق.. سأحاول أن أجعل الأمر يبدو أنني أقوم بتوصيل (مارتن).. ثم بعد ذلك (صوفيا).. »

(طارق).. بحماس:

- « هذا سيربكهم.. ويجعلهم يتشتتون.. »

لاحت ثمة ابتسامة ساخرة فوق شفتي (عمر) سرعان ما اختفت.. قبل أن يردد:

- « يبدو أنك لا تقدر خصمك جيدًا، هؤلاء يستطيعون فعل أي شىء، في أي وقت يريدون.. »

(طارق) بعناد:

- « قد يكون معك حق، لو أنهم يعملون بوضوح في النور، لكن يبدو من كل تلك الأحداث، أنهم يخشون شيئًا ما.. وهذا يجعلهم متوترين، ويحاولون أن يتحركوا بأقل ضجة ممكنة.. مما جعلهم يلجئون للطرق التقليدية في المراقبة المباشرة، لأن استخدام أدوات الدولة كاملة، قد يعقبه علامات استفهام.. وهم - قطعًا - لا يحملون إجابات! »

رغم أن علامات الإعجاب بمنطق تفكير (طارق) قد شملت (عمر)، إلا أنه لم يبدِ ذلك.. متمتمًا بجمود:

- « وسط أي ظروف.. لا بد أن نحتاط للأمر، ونتحرك في منتهي الحذر.. »

وصمت لحظة يستجمع أفكاره.. ويرمق السيارة التي تلاحقه بإصرار.. مردفًا:

- « سنعمل على مسارين، الأول هو بحثي يقوده (مارتن) و(صوفيا).. والثاني ميدانى.. »

ثم أخذ يخبرهم.. بتفاصيل تنفيذ ذلك.. و(طارق) يبتسم في سخرية، بعدما شعر فجأة أنه قفز داخل فيلم ما.. يحمل أجواء نهاية العالم!

فليس معني أنه في أمريكا.. أن ذلك يحدث!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثامنة وخمس وخمسون دقيقة مساءً: 8:55 PM

(غوستاف)!

النموذج السيئ من (أرنولد شوازينجر) [16].. والذي تشتهر به أمريكا عبر تاريخها، ففي كل مؤسسة أو مكان ما يتواجد ذلك العنصر، المؤمن باستخدام العنف كوسيلة لحل أي صراع!

لهذا يردد المؤرخون بثقة تلك العبارة:

- « أمريكا وُلِدت في الشارع، (America was born in the street) »

أشعل (غوستاف) ذلك السيجار الضخم بين شفتيه، وعيناه تحمل تلك النظرة الباردة الجامدة.. التي لا تستطيع تصنيفها.. قبل أن يشعل موتور سيارته العتيقة، ويرمق زميلته الجالسة بجواره في عداء.. والتي فرضها عليه المدير كشرط أساسي لقبول المهمة.. متمتمًا باستمتاع:

- « لا أحب العمل مع النساء.. »

ابتسمت المُحققة في سخرية.. وهي تضع حزام الأمان، متسائلة:

- « أعرف.. لكنني لا أعرف السبب؟ »

أجابها في غموض أصابها بالقشعريرة:

- « يغادرون سريعًا.. »

تنهدت الفتاة.. وهي تتحسس مسدسها.. متسائلة باستياء:

- « من أين تحب أن نبدأ؟ »

ضاقت عينا (غوستاف).. متمتمًا ببرود:

- « هذا يعني أنك ستكملين الطريق.. »

الفتاة بعناد:

- « نعم.. »

أجابها بحسم:

- « تذكري إذن أنه كان اختيارك.. »

مدت يدها مصافحة بقوة:

- « (ميراندا).. »

لم يكن (غوستاف) معتادا على ذلك.. فالنساء في عالمه مجرد مخلوق يصرخ في النهاية، لكنه رغم ذلك صافحها بنفس القوة.. متمتمًا:

- « حسنًا.. لندع التجربة تفرز نتائجها.. »

ثم ضغط أكثر دواسة البنزين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثامنة وسبع وأربعون دقيقة مساءً: 8:47 PM

توقفت سيارة (عمر) أمام مبني ليس مرتفعًا، في منطقة سكنية شبه مزدحمة، كان الجميع يستعد للحظات منتصف ليل رأس السنة..

في اللحظة التي هبط فيها (مارتن) بصحبة (صوفيا).. دون أن يجرؤ أحدهما على الالتفات نحو السيارة التي تراقبهما..

لوحت (صوفيا) بيدها لهم، راسمة فوق شفتيها تلك الابتسامة المفتعلة.. وهي تتجه نحو المبني بصحبة (مارتن) ببساطة.

انتظر (عمر) لحظات.. ثم عاد ينطلق بالسيارة في بطء حذر.. وعيناه لا ترتفع عن مراقبيه..

وكما توقع.. تحركت السيارة خلفه.. وتخلت عن (مارتن) و(صوفيا)، دون أن يهبط أحد خلفهما.. أو هكذا بدا له الأمر!

عادا إلى الطريق.. و(نورمان) يسأل بقلق:

- « ماذا سنفعل الآن؟ »

(عمر) بجمود:

- « سنحاول تضليلهم.. »

ازدرد (نورمان) لعابه.. متمتمًا:

- « هذا سيجعلهم.. يشكون في نوايانا.. وقد يعودون لـ (مارتن) و(صوفيا).. »

(عمر) في غموض:

- « ومن أدراك أنهم قد تخلوا عن مراقبتهما؟ »

اتسعت عينا (نورمان) في ذعر.. قائلًا:

- « لماذا تركتهما إذن؟ »

تدخل (طارق) يقول:

- « كان لا بد من ذلك.. فهم في كل الأحوال سيشكون في الأمر.. »

(نورمان) بارتباك:

- « أصبحت لا أفهم شيئًا! »

ضاقت عينا (عمر).. وهو يُزيد من سرعة سيارته قليلًا:

- « الموقف هو الذي يقودنا الآن.. والخطة التي وضعناها منذ قليل، ما هي إلا خطوط عريضة، سنتحرك خلالها.. أما التفاصيل.. فقابلة للتغيير حسب معطيات الأمور.. »

كاد (نورمان) أن يضيف عبارة أخرى، يصف فيها حاله المرتبك، لولا أن هاتف (عمر) رن.. والذي ضاقت عيناه بمجرد أن قرأ هوية المتصل. كان فرد الأمن الذي قابله منذ ساعات في مبني البلدية!

فتح الخط.. فاندفع فرد الأمن يقول بلهفة، كأن هناك من يلاحقه:

- « مستر (عمر).. هناك شىء يحدث لا بد أن تعرفه.. »

صمت الأخير.. وتركه يُفرغ كل الذي في رأسه.. قبل أن يقول له (عمر) بحسم:

- « تخلص من ذلك الهاتف.. وحاول مغادرة مبني البلدية فورًا.. »

فرد الأمن بذعر:

- « لماذا؟ »

« كل شىء صار مراقبًا الآن.. »

أنهي فرد الأمن المكالمة.. قبل أن يتسمر في مكانه للحظة ينظر للهاتف في رعب، بعدها قذف به نحو الحائط.. وانطلق يهرول محاولًا مغادرة المبني كأن كل شياطين الأرض تطارده.

بينما قال (عمر) باهتمام:

- « ما كنا نخشاه بدأ يحدث؟ »

(طارق) بقلق:

- « تكلم.. »

(عمر) بحسم:

- « لقد انتشر الوباء في دائرة قطرها خمسة كيلومترات، حول مبني الحجر الصحى.. وعدد الضحايا في ازدياد.. »

(طارق) بمزيد من القلق:

- « ما فعلته الآن مع فرد الأمن كان خطأ، فلو أن استنتاجك صحيح، ويراقبون هاتفك فعلًا.. أنت تقول لهم بوضوح إنني ما زلت في القضية.. »

(عمر) بغضب نادرًا ما يصيبه:

- « لقد صار الأمر خارج حدود سيطرتهم.. »

بدت العبارة غير مفهومة لـ (طارق).. وكاد أن يقول شيئًا ما، لكنه بتر فجأة ذلك.. عندما لمح السيارة المراقبة، تُزيد من سرعتها.. محاولة اللحاق بهم!

أضاف (نورمان) بفزع.. موجها حديثه (طارق):

- « يبدو أنك على صواب.. »

بقي (عمر) صامتًا.. وهو يضغط دواسة البنزين أكثر، محاولًا الحفاظ على المسافة بينهما..

لكن السيارة المُطاردة كانت حديثة.. وقوية.. و..

بدأت المسافة بينهما تقل، صرخ (نورمان):

- « ماذا سنفعل؟ »

حاول.. وحاول (عمر) الإفلات.. وعندما شعر أن ذلك دون جدوي ضغط الفرامل بشكل مفاجئ..

ارتبكت السيارة الأخري قليلًا.. وكادت أن تصدمهما، لولا مهارة سائقها.. تفادي ذلك في آخر لحظة.. لكنه خرج عن الطريق الممهد.

لم يضع (عمر) ثانية، فقد أدار مقود سيارته في عكس الاتجاه.. وانطلق يحاول الهرب..

غير عابئ بكل تلك السيارات التي صارت تواجهه..

لكن بعد دقيقة لحقت به السيارة الأخرى.. ومن جديد عادت المسافة تتقلص بينهما، نظر (نورمان) عبر الزجاج الخلفي يردد بتوتر شمل كل جسده:

- « ليس أمامنا سوي الاستسلام.. »

(عمر) بحسم.. وهو يتابعهم:

- « لا أرتاح لوجوههم.. »

وبالفعل لم يكد ينهي عبارته.. حتى طارت المرآة الجانبية له، إثر رصاصة صامتة انطلقت نحوهما.. أعقبها وابل لا يتوقف من الرصاص..

هبط (نورمان) في دواسة العربة يصرخ:

- « هذا جنون.. إنها النهاية.. »

بينما تمالك (عمر) أعصابه.. وحاول العبور بجوار تلك الشاحنة العملاقة التي ظهرت أمامه فجأة.. متفاديًا إطلاق الرصاص.

أصابت تلك المناورة قائد الشاحنة بالارتباك.. فأطلق النور العالى.. محاولًا رؤية ما ظهر أمامه فجأة.. و...

كان التصادم حتميًّا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

14 - المائـــدة..

التاسعة والثلث مساءً: 9:20 PM

جلس (توماس) أمام تلك المائدة المستديرة.. والتي استقر في منتصفها ذلك الشمعدان السباعى، الذي يطلق عليه اليهود اسم (المينوراه) [17].. تيمنًا بأيام الخليقة السبعة في التوراة! والتي سيبعثون فيها باليوم السابع حسب اعتقادهم!!

كان كل حضور المائدة، يمثلون أعضاء هامين داخل اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية..

وعضو في المائدة الاقتصادية العالمية، التي تُحدد مصير الشعوب والرؤساء!

نظر (توماس) في وجوههم يردد:

- « لماذا هذا الاجتماع العاجل؟ »

أجابه كبيرهم سنا في برود:

- « وهل كل ما يحدث من بداية اليوم تجده طبيعيًّا؟ »

ضاقت عينا (توماس).. قائلًا بحذر:

- « هذه نتائج طبيعية لاختبار أي سلاح بيولوجي جديد.. »

أضاف آخر بعد أن نظر لمن تحدث أولًا، كأنه يأخذ منه الإذن بالكلام:

- « نحن لا نتحدث عن هذا الآن؟ »

نقل (توماس) نظراته بينهم للحظات، قبل أن تضيق عيناه مرة أخري مرددًا بحيرة:

- « يبدو أن هناك شيئًا ما قد فاتنى.. »

عاد الكبير في السن يقول بغموض:

- « (ويتمان)؟ »

(توماس) بحدة:

- « ماذا عنه؟ »

« ما حدث بينك وبينه اليوم ليس جيدًا.. »

ارتسمت علامات الغضب فوق وجه (توماس).. وهو يقترب من المائدة أكثر، قائلًا بسخرية عصبية:

- « تري من أخبركم.. مَنْ.. مَنْ؟ »

ثم طرق المائدة بغضب.. مستطردًا:

- « آه.. إنه الوغد (بنيامين).. »

ابتسم الثاني يضيف ببرود مستفز:

- « حتمًا لم نأتِ إلى هنا الليلة، لمناقشة أمر (بنيامين).. »

عاد كبير السن يقول بهدوء:

- « إننا نهدف إلى حمايتك.. »

غضب (توماس) أكثر.. متمتمًا:

- « بل للتجسس علىّ.. أرجوك لتُسمِ الأشياء بأسمائها.. »

سادت أجواء التوتر.. قبل أن يتدخل شخص ثالث، قائلًا بوقاحة مستفزة:

- « حسنًا.. كما تحب.. إنه للتجسس عليك.. هل يرضيك هذا؟ »

ونظر إلى الشخص الثانى.. الذي ابتسم مضيفًا بمزيد من الاستفزاز:

- « نحب الاطمئنان على بضاعتنا! »

انعقد حاجبا (توماس).. يتمتم باستنكار:

- « بضاعتكم؟ »

أجابه كبيرهم.. وهو يبتسم بطريقه مخيفة:

- « نعم بضاعتنا.. تلك هي الحقيقة يا مستر (توماس)! أنت وكل سلطتك، صرت ملكا لنا.. »

هب (توماس) واقفًا.. يقول بغضب هادر:

- « يبدو أنه قد أصابكم الجنون، أنا لست ملكا لأحد.. وكل ما يجمعني بكم، ذلك المشروع الذي سألغي عقوده فورًا.. »

ازدادت ابتسامة كبيرهم دون أن ينهض من مكانه.. متمتمًا بتلك الطريقة الهادئة الناعمة، التي تميز أي يهودي على مستوي العالم:

- « أرجو أن تهدأ يا مستر (توماس) حتى نستطيع الاتفاق.. »

الأخير بعناد وثقة:

- « لم يعد هناك اتفاق.. »

وكاد يشرع في مغادرة المائدة.. ثم الغرفة، لكن اليهودي الثاني أضاف بثقة، جعلته يقف:

- « قبل انصرافك.. حاول أن تلقي نظرة سريعة أولًا على ذلك الملف.. »

توقف (توماس).. واستدار يقول بترفع ودهشة:

- « ملف؟ »

وبمجرد انتهاء كلمته، ظهر أمامه فجأة شاب ضئيل الجسد، وأعطاه ملفًّا أصفر ضخمًا!

حمل (توماس) الملف.. ونظر إلى وجوههم باستنكار.. فوجدها جميعًا تحمل تلك النظرة الساخرة المستفزة المترقبة..

عاد إلى المائدة، وفتح أول الأوراق من الوضع واقفًا.. فوجد له صورًا في وضع مُخِل، ثم شِيكًا يحمل رقمًا كبيرًا من المال!

اتسعت عيناه في ذهول.. ويده تقلب أوراق الملف بتوتر سريع تصاعدى، حتى انتهى.. وعاد للجلوس أمام المائدة في صدمة، متمتمًا بغضب شديد بارد:

- « ستدفعون ثمن ذلك.. »

عاد اليهودي الثاني يقول بثقة:

- « قبل أن تفعل ستكون حكومتك قد نفذت فيك حكم السجن مدي الحياة، بعد رؤيتها لتلك الوثائق والاعتمادات المالية.. »

ران الصمت على المائدة للحظات.. قبل أن يعود اليهودي الكبير في السن قائلًا باهتمام:

- « هناك وسيلة نستطيع بها تجاوز كل هذا ليعود بعدها الجميع إلى منزله دون خسائر.. »

(توماس) بانكسار:

- « ماذا تريدون؟ »

ابتسم اليهودي العجوز من جديد مردِدًا:

- « هكذا! لا بد أن تكون بداية الحديث! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثامنة وتسع وخمسون دقيقة مساءً: 8:59 PM

دلف (مارتن) بصحبة (صوفيا) بهدوء مفتعل ظاهري، سرعان ما تحول إلى توتر عاصف بمجرد أن مر من الباب الداخلى..

فجأة وجدته يقول بلهجة هامسة حادة:

- « بسرعة.. »

لم تجد (صوفيا) أمامها سوي أن تتبعه.. قائلة:

- « لا أريد أن أصعد معك.. »

(مارتن).. وهو يتحرك بمزيد من السرعة نحو المصعد:

- « لماذا؟ »

- « بصراحة.. أشعر بالخوف كلما فعلت.. »

انفتح باب المصعد.. فتجاهل (مارتن) عبارتها متمتمًا بحزم:

- « هيا.. »

شعرت أنها تري ذلك الجانب الجاد في شخصية (مارتن) لأول مرة!.. ولم يكد تمر دقيقة، حتى كان الاثنان داخل شقة الأخير..

والتي بمجرد دخولها.. أغلقها جيدًا.. وأشعل ذلك الجهاز..

- « ألن نشعل الإضاءة؟ »

كان هذا سؤال (صوفيا).. وهي ترتجف:

(مارتن) بإثارة.. كأن الأمر يروق له:

- « ليس الآن.. »

وكنوع من التلطيف.. ومحاولة لتجاوز ذلك التوتر، ذهبت (صوفيا) إلى الثلاجة لجلب عبوة جعة، وقبل أن تجلب واحدة أخري لـ (مارتن).. تذكرت أنه لا يشربها!.. وتذكرت أيضًا ذلك السؤال الذي طالما سألته له، وبقي دون إجابة:

- « لماذا تحتفظ بها في الثلاجة.. طالما أنت لا تشربها؟ »

أتتها الإجابة سريعًا هذه المرة:

- « من أجل الضيوف.. »

(صوفيا) بسخرية عصبية:

- « وهل يزورك أحد غيري؟ »

- « لا.. »

هنا.. قاطع أفكارهما فجأة أزيز ذلك الجهاز الداخلي، امتقع وجه (صوفيا).. وكاد يحاكي وجوه الموتى.. وعبوة الجعة تسقط من يدها.. متمتمة بذعر:

- « ماذا؟ »

لثوانٍ ظل (مارتن) يحدق في شاشة الجهاز، قبل أن يتحرك بغتة بحركة حادة.. ويضغط زر جهاز آخر هاتفًا:

- « لدينا رِفقة.. »

تعلق بصره برجال الأمن عبر الشاشة.. وهم يقتحمون باب شقته الخارجي أمام ذعر بعض الجيران.. وسؤال أحدهم:

- « ما الذي يحدث؟ »

أشار رئيس الأمن إلى أحد رجاله لتنفيذ الأوامر.. وهو يومئ بسبابته إلى شىء ما، في اللحظة التي سحب فيها (مارتن) يد (صوفيا).. مردِدًا بحدة:

- « هيا بسرعة.. »

وانهار باب الشقة بعنف.. قبل أن يقتحمها خمسة أفراد على أعلى مستوي من رجال الأمن القومى..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عندما لمح قائد الشاحنة السيارتين يسيران بشكلٍ عكسي، اتسعت عيناه بفزع.. وأدار مقود الشاحنة بشكل غريزي، محاولًا الابتعاد عنهم، وإفساح مجال للمرور..

تلك المناورة جعلت الشاحنة تتخلي عن مسارها الرأسي العمودي على الطريق.. وتأخذ اتجاهًا مائلًا..

ارتبك (عمر).. وسقطت من أمام عينيه نظارة الرؤية الليلية، هذا جعل الرؤية مشوشة.. مزدوجة..

لكن رغم ذلك.. وكنتيجة لهرمون الأدرينالين الذي أغرق دماءه، في تلك اللحظات الحرجة من حياته..

تجاوز مقدمة الشاحنة بسلام.. وكاد يتم الأمر، لولا أن مَسته مؤخرة الشاحنة!؟

كانت مجرد لمسة طفيفة للجانب الأيسر من سيارة (عمر)، لكن مع تلك السرعة الكبيرة، التي كان ينطلق بها..

بدت كأن السيارة قد أصابتها قذيفة مدفع!؟

طارت في الهواء، لعدة أمتار مائلة.. قبل أن تخرج عن الطريق.. وتتدحرج بعنف فوق ذلك المنحدر المائل.. لترتطم في النهاية بتلك الأشجار.

أما السيارة المُطاردة فقد كانت أكثر حذر ومهارة.. فبدلًا من أن تتعقب سيارة (عمر)، مُتخذة نفس المسار.. أكملت طريقها نحو الجانب الآخر من الشاحنة..

لدرجة أن سائقها، لم يشاهد الحادث..

فجأة.. لم يعد يري تلك السيارة التي كان يطاردها.. صرخ قائلًا:

- « أين ذهبت؟ »

وضغط دواسة الفرامل بعنف.. وهو يعود للخلف.. ليقف أعلى المنحدر.. رافعًا أمام عينيه منظار الرؤية الليلية..

- « ها هم.. »

تحفز رجاله وعادو يطلقون النار بغزارة..

كان (عمر) و(طارق) قد نجحا في مغادرة السيارة المقلوبة.. وحاولا إخراج (نورمان).. الذي بدا فاقد للوعى..

لكن الرصاص جعلهم يتخلون عن الفكرة..

التف الاثنان بسرعة حول السيارة من الجانب الآخر للاحتماء، قبل أن ينظر (عمر) لـ (طارق).. متمتمًا بضعف:

- « آسف على كل ما يحدث لك.. »

كان (عمر) يلهث بشدة، وقد أصابه الإعياء فجأة!؟.. فاندفع (طارق) يساعده على الوقوف..

- « لا تقل هذا! »

وضع (عمر) يده اليسري داخل معطفه، قبل أن يُخرجها ملوثة بالدماء.. قائلًا:

- « يبدو أنني أُصِبت؟ »

اتسعت عينا (طارق) في ذعر شديد.. كأنه لا يصدق أن ذلك يحدث!.. في اللحظة التي توقف فيها إطلاق الرصاص..

عاد يطل برأسه.. ناظرًا بحذر خلف السيارة، فوجد ثلاثة من الرجال يتقدمون نحوهم بحذر.. وهم يشهرون أسلحتهم..

وضع (طارق) ذراع (عمر) فوق كتفه.. قائلًا بسرعة:

- « هيا.. لنختبئ وسط تلك الأشجار.. »

هز (عمر) رأسه.. قائلًا بصعوبة:

- « بمجرد أن نبدو أمامهم، سنكون هدفًا سهلًا إصابته.. »

(طارق) بعصبية:

- « والعمل؟ ! »

ازدرد (عمر) لعابه بصعوبة.. قائلًا بحسم:

- « ليس أمامك سوي الهرب، اتجه إلى المطار مباشرة.. أريدك أن تعود لمصر الليلة.. »

- « وأنت؟ »

- « دعني لمصيرى.. »

نظر له (طارق) بتأثر، في اللحظة التي عاد فيها إطلاق الرصاص..

- « هيا.. إنها فرصتك الأخيرة.. »

استجمع (طارق) كل طاقته، وانتظر لحظة معينة.. ثم انطلق بأقصي سرعة نحو تلك الأشجار الكثيفة، التي كانت على بعد أمتار، تلاحقه تلك الرصاصات في إصرار..

ليصير غريبًا.. ووحيدًا في شوارع ولاية (فلوريدا) الخلفية..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتهي الجزء الأوَّل بحمد اللَّه.

ويليه الجزء الثاني بإذن اللَّه.

(الخلية)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام إلى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

فهرس..

تنويه..
الطارق
المُقـدمة
1 - أرض الأحلام..
2 - المهمة..
3 - إنهم يعرفون..
4 - سري للغاية..
5 - تورادو..
6 - اللقـــاء..
7 - المومياء..
8 - الهـــروب..
9 - DNA..
10 - الصراع..
11 - خيانـــة..
12 - غوستاف..
13 - انهـــيار..
14 - المائـــدة..

Notes

[←1] H1N1: نوع خطير من فيروسات الإنفلونزا، يسبب ارتفاعًا شديدًا جدًّا في درجة الحرارة، وكحة وطفحًا جلديًّا أحيانًا.

[2←] Aspegic: مسكن قوي وخافض للحرارة، لكنه يتفاعل مع الصفائح الدموية في الجسم مما يسبب سيولة في الدم، وغثيانًا، وصداعًا، ودوارًا، ضربات قلب سريعة.

غالبية أدوية مضادات الحساسية لها تأثير منوم. [←3]

لمزيد من التفاصيل راجع العدد رقم (3) في سلسلة الطارق.. (أركان). [←4]

[←5]

الباراسيكولوجى: هو علم (ما وراء النفس) أو (علم النفس الموازى).. ويختص بدراسة حالات الإدراك العقلي الفائق أو التأثيرات على الأجسام الفيزيائية دون تماس مباشر معها!. أو اتصال عن طريق وسيلة مادية معروفة.

[←6]

تامبا: يطلقون عليها مدينة البرق والشمس، تقع على الساحل الغربي لولاية (فلوريدا)، عند مصب نهر (هيلزبروج)، تعتبر ميناءً ومركزًا صناعيًّا مهمًّا، تطل على خليج (تامبا).. والذي يعتبر جزءًا صغيرًا من خليج المكسيك.

[←7]
كانيس: أقرب مجرة لمجرة (درب التبانة) التي تقع فيها مجموعتنا الشمسية، هي ومجرة أخري اسمها (المرأة المسلسلة).

[←8]

جوزيف بانكس راين (Joseph Banks Rhine): الملقب بعالم الظلام (1885- 1980) بدأ حياته بدراسة علم النباتات، ثم غير اتجاهه بعد حضور محاضرة للسير (آرثر كوناندويل). قام بدراسة علم النفس، ومن ثم قام بدمجه بالظواهر الروحية؛ لينشأ علم جديد مهمته دراسة خوارق ما وراء النفس، أسماه (الباراسيكولوجى)، بعدها أسس أول مركز بحث تجريبي في العالم عام (1934) بجامعة (ديوك) الأمريكية.

[9←] حضارة المايا : الموقع الجغرافي أمريكا الوسطى، أهم مراكزها (يوكاتان)، السكان الأصليون قبائل مهاجرة من هضبة المكسيك.

[10←] إنديانا جونز: سلسلة أفلام شخصية خيالية قام بتجسيدها النجم الأمريكي (هاريسون فورد)، وقام بإخراجها (ستيفن سبيلبرغ).

[11←]
البنتاجون: مبني مقر وزارة الدفاع الأمريكية، ويقع في ولاية (فيرجينيا) بمدينة (أرلينغتون)، وقد سمي بهذا الاسم نظرًا لشكله الخماسي الأضلاع.

[←12]
أورلاندو: مدينة مجاورة لمدينة (تامبا)، تبعد عنها حوإلى (126) كيلومترًا، وتحتوي على مدينة ملاهي (ديزني لاند) الشهيرة.

[←13]

كرات الدم الحمراء: عبارة عن كتلة من بروتين (الهيموجلوبين)، مُحاط بغشاء خلوي حتتستطيع دخول أرفع الشعيرات الدموية، ووظيفة (الهيموجلوبين) هي المسك بأربع جزيئات من (الأكسجين) لتقوم بتوصيله لداخل الخلايا، وعندما تشيخ الكرة بعد (120) يومًا، يتحول غشاؤها إلى جدار هش، فتتمزق عندما تدخل شعيرة دموية ضيقة، خاصة تلك الموجودة في الطحال.

[←14]

SVT: هي اختصار لكلمة (supra ventricular tachycardia) وتعني تسارع غير منتظم في ضربات القلب، إلى ما قد يتخطي الـ (200) دقة في الدقيقة، وإذا لم تعالج بشكل سريع، قد تؤدي إلى توقف القلب، وهذا المرض هو ما توفي به الراحل الدكتور (أحمد خالد توفيق) رحمة اللّه عليه.

[←15]

الميل يساوي 1.6 كيلومتر تقريبًا.

[←16]
أرنولد شوازينجر: لاعب كمال أجسام، وممثل، وسياسي جمهوري أمريكي من أصل نمساوى، حاكم ولاية (كاليفورنيا) الثامن والثلاثون، من أشهر أفلامه سلسلة (Terminator) و (End of days).

[17→]

المينوراه: شمعدان سباعي من الذهب الخالص، يمثل رمزًا مهمًّا من رموز اليهود القومية الدينية المقدسة، وهو يُشير عندهم إلى أيام الخليقة السبعة في التوراة. حيث يدعون أن نبي اللّه (موسى) عليه السلام كان يضعه في خيمة الاجتماع في البرية، ثم من بعد ذلك في هيكل (سليمان)، لهذا اتخذهاليهود رمزًا رسميًّا للدولة الإسرائيلية، ووضعوه على العملة والمعابد والمكاتب الرسمية السياسية والشركات، هذا الشمعدان يعتقد اليهود أن قداسة (قدس الأقداس) داخل الهيكل لا تكتمل إلا بإيقاده داخله، ويعملون الآن على تحويل تلك الأسطورة إلى حقيقة.